القرآن الكريم والدروس الدينية

الجزء الثاني

لتلاميذ وتلميذات السنة الثانية

بالمدارس الوسطى

تأليف

شعبة الدراسات الإسلامية

بمعهد التربية ببخت الرضا

وزارة المعارف السودانية

النمرة المتسلسلة : وم/٧

الطبعة الأولى

١٩٥٨

الطابعون : دار المعاف بمصر

فهرس الموضوعات

صفحة

الإهداء ٩

١ — دروس فى التفسير

سورة المجادلة ١٣
مقتطفات من معانى سورة المجادلة ١٦
سورة الحشر ٢٠
مقتطفات من معانى سورة الحشر ٢٣
سورة الممتحنة ٣٠
مقتطفات من معانى سورة الممتحنة ٣٣
سورة الصف ٤٠
مقتطفات من معانى سورة الصف ٤٢
وحدانية الله « سورة المؤمنون » ٤٥
من مشاهد القيامة « سورة الزمر » ٤٩
طوائف إلى النار وأخرى إلى الجنة « سورة الزمر » ٥٢
نعم الله على العباد « سورة النحل » ٥٨
الأخذ بالثأر « سورة النحل » ٦٤
خمس لا يعلمها إلا الله « سورة لقمان » ٦٨
من صفات الرسول « سورة التوبة » ٧٣
تجارة رابحة « سورة التوبة » ٧٧
من الأخلاق الإسلامية ٨١
سبحان الذى سخر لنا هذا « سورة الزخرف » ٨٢
صنع ربى « نشيد » ٨٩
الساعة آتية « سورة سبأ » ٩٠

٢ — من الهَدْى النبوى

صفحة

الحديث الأول : مأدبة الله ٩٥
« الثانى : الأسوة الحسنة ٩٩
« الثالث : الحلف الفاجر ١٠٢
« الرابع : عاقبة الإنفاق ١٠٤
« الخامس : لك من مالك ثلاث ١٠٨
« السادس : الحلم سيد الأخلاق ١١١
« السابع : إكرام الضيف والجار ١١٧
« الثامن : من تحل له الصدقة ١٢٢
« التاسع : أعمال لا ينقطع ثوابها ١٢٦
« العاشر : الدين النصيحة ١٣٠
« الحادى عشر : كن عوناً لأخيك ١٣٤
« الثانى عشر : سؤال وجواب ١٣٤
« الثالث عشر : رفقاً بالقوارير ١٣٦
« الرابع عشر : إن الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية . ١٣٦
« الخامس عشر : مسئولية الجماعة عن الفرد . . . ١٣٨
« السادس عشر : فضيلة العمل ١٣٨
رعاية البيت ١٣٩
كرم ومروءة ١٤١
الدعاء والاستغفار ١٤٣

٣ – دروس فى العبادات

صفحة

الدرس الأول : صفات الماء ١٤٩
« الثانى : النظافة فى الإسلام ١٥١
« الثالث : ما قرر الشرع طهارته ١٥٣
« الرابع : آداب إسلامية ١٥٥
« الخامس : سهولة ويسر ١٥٧
« السادس : مشروعية الصلاة ١٥٩
« السابع : فرائض الصلاة ١٦١
« الثامن : سنن الصلاة ١٦٣
« التاسع : الصلاة على الميت ١٦٥
« العاشر : مواضع النهى عن الصلاة ١٦٩
نشيد دينى : أيها البيت ١٧١
الدرس الحادى عشر : صلاة السفر ١٧٣
نشيد عربى : نحن إخوة ١٧٦

٤ – شخصيات إسلامية

حمزة بن عبد المطلب ١٨١
أسامة بن زيد ١٨٨
أبو دجانة ١٩٥
الزرقاء بنت عدى ١٩٩
أم زياد الأشجعية ٢٠٢
فاطمة الزهراء ٢٠٣
قصة مهاجر ٢٠٩

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

الإهـــداء

إِلَى تِلْمِيذِ وَتِلْمِيذَةِ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ

بِالمَدَارِسِ الوُسْطَى

سَلَامُ اللهِ عَلَيْكُمَا ؛ وَبَعْدُ :

فَهَا نَحْنُ أُولَاءِ نُقَدِّمُ لكُمَا البَاقَةَ الثَّانِيَةَ مِنْ كِتَاب «القُرآنِ الكَرِيم والدُّرُوسِ الدِّينيَّة» الَّذِى أَعْدَدْنَاهُ مِنْ أَجْلِكُمَا . وإِنَّنَا إِذْ نُقَدِّمُهُ لكُمَا ، نَأْمُلُ أَنْ تَكُونَا قَدِ اسْتَوْعَبْتُمَا جَيِّدًا مَا عَرَضْنَاهُ عَلَيْكُمَا فى الكِتَابِ الْأَوَّل ، لِيَكْمُلَ لكُمَا بِدِرَاسَةِ هٰذَا الكِتَابِ «حِفْظُ الْأَجْزَاءِ الثَّلَاثَةِ الْأَخِيرَةِ» مِنَ القُرْآنِ الكَرِيم ؛ هٰذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى إِلْمَامِكُمَا بِالكَثِير مِنْ واجِبَاتِكُمَا الدِّينية ، مُسْتَقَاةً مِنْ أَعْظَمِ مَصْدَرَيْن : القُرْآنِ الكَرِيم ، والسُّنَّة النَّبويَّة . وَغَرَضُنَا مِنْ ذٰلك أَن

تَنْشآ خَيْرَ نَشْأَةٍ ، وأَن تكونا مثالًا راقياً فى التَّهذِيب ، وحُسْنِ السِّيرةِ .

وَفَّقَكُمَا اللهُ لِمَا فِيهِ الْخَيْرُ ، وَنَفَعَ بِكُمَا البِلَادَ .

محمد الطيب محمد حامد و عبد القادر الشيخ إدريس

و

قطبى سالم محمد

الدويم : معهد التربية ببخت الرضا
٣ ربيع الثانى سنة ١٣٧٧ هـ

٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧ م

(١)

دروس فى التفسير

سُورَةُ الْمُجَادَلَة

مدنية، وهى اثنتان وعشرون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ واللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ واللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥)

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللهُ وَنَسُوهُ واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِى أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٨) يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩) إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٠) يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِى الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ

انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ(١٣) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) اِتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٦) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٧) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٨) اِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ

الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولٰئِكَ فِى الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِى إِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ (٢١) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولٰئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولٰئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢) . »

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ مَعَانى سُورة المُجَادَلة

(١) كَانَ العَرَبِىُّ فى العَصرِ الجاهِلى إذا غَضِبَ على امرأته ، قالَ لَهَا : « أنت علىَّ كَظهر أمى » ، يريدُ بذلك ألاَّ يتخذها له زوجةً .

ونزل أولُ سورة المجادَلةِ فى شأن « خَوْلَةَ بنت ثَعْلَبة » الزوجة التى شَكَتْ لرسولِ الله (ص) زوجَها « أوسَ ابنَ الصَّامت » الذى ظاهَرَ منها ، أى قال لها : « أنتِ علىَّ كظهر أمى » فنزلَ قولُ اللهِ

تعالى : « قد سَمِع اللهُ قولَ التى تجادِلك فى زوجِها وتَشتكى إلى الله . . . الآيات . . .

واستجابَ اللهُ دعاءَ المرأةِ فوضع حلاً لمُشكلتها . . .

فالمُظاهِرُ من زَوجتِه ، عليه أن يعودَ إليها بَعدَ أن يكفِّر .

والكفارة ثلاثةُ أنواع :

(١) تحريرُ رقبةٍ : ومعنى ذلك أن يَعْتقَ الشَّخصُ واحداً من عبيده : ذكراً كان أم أنثى .

(٢) صيامُ شَهرَين متتابعين .

(٣) إطعام ستِّين مِسكيناً ، صاعٌ[1] لكل مِسْكين .

هذه حدودُ اللهِ وتلك أحكامُه ، فعليكم أن تتَّبعوها وتَعمَلُوا بمقتَضاها .

(٢) كان اليهُود والمنافقون يؤذونَ المؤمنين سرًّا ، فيتغامزُون بأعيُنهم ، ويحرِّكُون شِفاههم بكلامٍ غيرِ واضح ، استهزاءً وسُخريةً ، ولم يكتفوا بذلك ، بل كانوا إذا مرُّوا بالنبىِّ يحيُّونه فيقولُون :

السَّامُ عليك يا محمدُ ! ومعنى السَّام : الموت .

أدبٌ عالٍ :

وذاتَ مرةٍ ردَّت السَّيدةُ عائشةُ رضىَ اللهُ عنها على المنافقين مَقالتَهم : بل عليكم السَّامُ واللعنةُ ! فلم يَرْضَ النبىُّ أن ينطلق لِسانُها بمثل هذه الكلماتِ مع

---

(١) الصاع : أربعة أمداد . والمد : ملء اليدين المتوسطتين .

الأعداء وقال لها : مَهْلاً يا عائشةُ إن اللهَ يكرَهُ فاحِشَ الكلام ! بل قُولى لهم مثْلَ ما قلتُ : « عليكم » واسكتى .

وكان صلَّى اللهُ عليه وسلم يأمرُ أصحابَه بالصَّبرِ عما ينالُهم منَ المنافقين وهذه هى التربيةُ الصحيحةُ ، والأخلاقُ السَّمحةُ العاليةُ التى ينبغى أن يتأدبَ بها كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ ، وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ حتى ينْشَأَ الواحدُ عَفَّ اللِّسان ، كريمَ النَّفس .

وقد نَزَلَتِ الآياتُ من قوله تعالى : « ألم تَرَ أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما فى السَّموات ومَا فِى الأرض ، ما يكونُ من نَجْوَى ثلاثةٍ إلا هو رابِعُهم . . . . » الآيات .

هذه الآيات تُعَلِّمُ المؤمنين الوَاجباتِ الآتية :

(١) أنَّ اللهَ يعلَمُ السِّرَّ والجهرَ .

(٢) يَحْرُمُ على المُسْلم أن يناجىَ غيرَهُ بالمعصيةِ والشرِّ ذلك لأنَّ المناجاةَ يجبُ أن تكونَ دائماً فى فِعلِ الخيراتِ .

(٣) ما يُلْقِى به الشَّيْطانُ منْ وَسْوسةٍ فى نُفوسِ المُنافقين لا يضُرُّ المؤمنين فى شىء .

(٤) يجبُ على المؤمنين أن يتوكَّلوا فى جميعِ أُمورِهم على الله — فالنَّفْعُ بيده وحدَه تعالى والضُّرُّ بيَدِه كذلك .

(٥) من أسباب المودَّةِ بين الناس أن يَفْسَحوا لغَيْرِهم فى المجَالس ، وأن يُوسِّع بعضُهم لبعض متَى رأوا حاجَةَ غيْرِهم لذلك — فى أمكنة الصَّلاة

وفى مقاعد التِّرام والبصَّات وداخِلِ عرباتِ القِطارِ ، فليْسَ من حَقِّ المسْلِمِ أن يحتَلَّ المكانَ وحدَه ، ويُضيِّق على أخيهِ ، أو يَمْنَعَه من الجُلوس مَعَه فى هذه المَرْكَبات العامَّة .

(٦) وإذا طُلِبَ من الواحدِ أن يقُومَ من مَقامِه لِمَنْ هو أكبرُ منه سنًّا ، أو مَنْ هو فى حاجةٍ إلى ذلك كالمرأة والمريض ، فليُجِبْ هذا الطَّلبَ من غيرِ أن يُظهِرَ استياءً أو تضجُّراً !

(٧) والمؤمنون الذين يمتثِلُون هذه الأوامِرَ ، ويُطبِّقونها فى حَياتِهم هم أسعدُ الناسِ وأحقُّهم برَحْمةِ الله وفضلِه وسيُدْخِلهُم اللهُ يومَ القيامة غُرَفَ الجِنان جزاءً وفاقاً !

سُورَةُ الْحَشْرِ

مدنية ، وهى أربع وعشرون آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ

وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) مَاأَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٧) لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ

وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ
مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ
الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ
مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَوْمٌ لَا يَفْقَهُون (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ
جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ
شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا
وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ
قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي
أَخَافُ اللهَ رَبَّ العَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي
النَّارِ خَالِدَيْنَ فِيهَا وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (١٧) يٰأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا
اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولٰئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ (١٩)
لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ

خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِى لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ(٢٣) هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) . »

مُقْتَطَفَاتٌ مِنْ مَعَانى سُورة الحَشر

قِصَّةُ بَنى النَّضِير

(١)

قال أبو براء عامرُ بنُ مالِك « ملاعبُ الأسنَّة » :

يا مُحمّد ! لو بَعَثْتَ رجالاً من أصحابِك إلى أهل نجْدٍ ليَدْعُوهم إلى هذا الدِّينِ الذى تدعو الناسَ إليه ! !

قال الرَّسول عليه السلام :

إنى لأخْشَى أن يُصيبَهم من أهل نجدٍ ما أصابَهم حينما غَدرَتْ هُذَيلٌ بهم فقَتلوا خُبَيْباً وأصحابه ! !

(*) قوم من اليهود ، كانوا يقيمون قريباً من المدينة ، على مسافة ميلين منها ، لهم نخيل وأشجار كثيرة .

قال أبو براء :

إنى أعِدُك أن يكونوا فى جِوارى حتى يعودوا إلى بِلادهم !

وكان أبو براء رجلاً مَسْموعَ الكلمة فى قومه مُهاباً فيهم .

وحَدَث ما توقّعه النبىُّ ، فقد قُتِلَ أصحابُه بِرَغْم حمايةِ أبى براء .

ولم ينجُ من رِجالِ النَّبى الأربعين إلا رجُلان : أحدُهما « كَعْبُ بْنُ زَيْد » الذى عاشَ ولحِقَ بعدَ ذلك بالمدينة .

وثانيهما : « عَمْرُو بنُ أُمية الضَّمْرى » الذى وقع أسيراً فى قَبضةِ الأعداء ، ثم أطلقه رئيسُهم « عامرُ بنُ الطُّفيل » بعد أن جزَّ ناصِيتَه وأعتقَه فى رَقَبةٍ ادَّعى أنها كانت على أُمِّه . وانطلَق عمرو إلى المدينة . . . .

قال أَحدُهم : من أين أَقبلتَ يا عَمْرو ؟ وما هذا الاضطرابُ الذى يَبْدُو عليك ؟ يُخَيَّلُ إلىَّ أنك أتيتَ أمراً عظيماً ؟ !

قال عمرو : أجلْ ! لقد صادفتُ فى طريقى إلى المدينة رجلَيْن من بنى عامرٍ فَقَتلتُهما ، ورَوَيْتُ بِدَمِهما الثَّرى ! وحَسِبتُ أنىَ بذلك شَفَيْتُ غَيْظى مما أصاب أصحابى يوم « بئر مَعُونة » .

قال الرجلُ : يا قُبْحَ ما صنعتَ ! لقد فَعلْتَ شرًّا من حيثُ أردْتَ الخيرَ ، وركِبْتَ حراماً من حيْثُ أَردتَ أن تأخذَ بثأر أصحابِك !

ذَانِك العامريَّان اللّذان قَتلْتَهما إن هُما إلاّ رجُلانِ معَهُما من رسُولِ الله عَهدٌ وجِوارٌ ، وهُما من قبيلةَ أبى براء الذى حماكُم يوم بِئر مَعُونة ما وَسِعَتْه

الحمايةُ ! ولم ينَلْكم من قومه سُوء ، ولكنَّ ما أصابكم يومَ ذاك كان من غَيْرِ قومه ! أنطلِقْ إلى رسولِ الله تجدْ عنده الخبر اليقين !

وأدرك عمرٌو أنه أخْطأ فيما فعَل ، وأقْبل على رسول الله يحدِّثه .

قال عمرو : يا رسول الله ! لقد شَفَيْتُ غَيْظِى ، وأطفأتُ نارَ حِقْدى اليوم !

قال الرسول : وماذا فعلْتَ يا عَمْرو ؟

قال عمرو : لقد قَتَلْتُ العامِرِيَّين اللَّذين صادفانى فى طَرِيقى إلى المدِينة ، وحَسِبْتُ أنِّى أصبْتُ فيهما من بَنى عامرٍ ثأراً .

وتَغيَّر وجْهُ الرسول من الحُزْن ، وغشِيتْ عينَيه سحابةٌ من الهمِّ ، ثم قال :

لقد قتلتَ قَتِيلَيْن علينا أن نُؤدِّىَ دِيَتَهما[1] إلى أهلهما ! !

(٢)

وخرَج رسولُ الله (ص) فى جماعة من أصحابه — فيهم أبو بكر وعمرُ وعلىٌّ رضى الله عنهم — إلى حيثُ يُقيم بنو النَّضير ، يطْلُب منهم أن يُعينُوه على دِية الرجلين ، حسبما تمَّ من اتفاق بيْن الرسول و بينهم .

قال حُيَىُّ بن أخْطَب ، زعيم بنى النَّضير :

ذاك محمدٌ مقبلٌ علينا ! ولأمرٍ ما قَدِم ، ولأمرٍ مَا وطِئَتْ قدَماه هذه الدِّيار ! انهضُوا للقائه !

---

(١) الدية : ما يدفعه القاتل لأهل المقتول من مال أو غيره .

ونَهضَ القومُ جميعاً ، واستقبلوه هاشّين باشّين .

قال حُيَيّ : خيرٌ ما جاء بِك يا مُحَمَّد ! أهلاً ومرحباً بكُم !

قال الرّسول : لقدْ قَتَل أحدُ المسلمين رجُلَيْن من بنى عامرٍ ، وكان فى ظنّه أنّهما عدُوّان المسلمين ، ولكنّهما من قومٍ بيْننا وبينَهم عهدٌ وذمّة ، وقد جئنا كم نَسْتَعينُ بكم فى دفْع دِيَة هذَيْن القتيلَيْن ، بما بيْننا من حِلْفٍ وعَهْدٍ .

قال حَيّ : سَنُجيبُك إلى ما أَردْتَ يا محمّد ! اسْترِحْ إلى هذا المكان ، حتى نجْمعَ لك من أَموالنا ما تُريد ! ! . . .

وجلس الرّسولُ ، وجلَس أَصحابُه فى انْتظارِ ما يعودُ به حُيَيّ بن أَخْطب رئيسُ القوم .

ورأَى القومُ قلّةَ أَصْحاب مُحمد ، ففكّروا أَن يَغْدِرُوا بهِم فيَقْتلوه ويَقْتُلوا مَعَه أَصحابَه .

وتقدَّم عمرُو بن جِحَاش — يَحمِلُ بينَ يديْه صَخْرةً عظيمةً ، يُريدُ أَن يَرضَخ بها رأسَ رسول الله ، وتسلّق الجدارَ فى المكانِ الذى يَجلِسُ فيه الرّسول ، ولكنه حِينما نظَر فيه لم يجِدْه ، فقد أَمرَ اللهُ نَبيَّه بالانصراف فعادَ إلى المدينة ، ولَحِقَ به أصحابُه من بعدِه . وخذَل اللهُ كَيْدَ الكافِرين .

(٣)

وأَعلَن الرَّسولُ لِقومِه فى المدِينة أَنَّ بنى النَّضيرِ قد نكَثُوا العَهْدَ ، وأَنَّهم أَرادوا أَن ينالُوه وأَصحابَه بِشرٍّ ، فلطف اللهُ بهم بَعْدَ أَن كُشِفَ أَمرُ المشركين لهم ، وليْسَ على المسلمين ذَنْبٌ فى قِتالِهم ، فلم يَعُدْ لهم أَمانٌ بعْدَ هذه الفعلة ، وانتقَض بذلك العَهْدُ الذى كانَ بَيْنَ الفَرِيقيْنِ .

قال مُحمّد بن سَلَمة ، وقد حَملَ رسالةَ النبىِّ إلى بنى النَّضير :

يا بَنى النَّضير قد عَلِمنا مكْرَكُم وغَدرَكم ، وأَطلَعَ اللهُ رسولَه على المؤامرة الدَّنيئة التى كَشَفَت عَن خُبثِ نِيَّاتكم وسوءِ أَفعالِكم . فارحلُوا عن هذه الدِّيار ، إذْ لا بقاءَ لكم بيننا بعدَ اليوم ، ولن نأْمَنكم على رِحالِنا . اُخْرُجُوا سالِمين بأنفسِكم .

وأَحسَّ بنو النضير حَرَجَ الموقِف ، وبدأُوا يُفكِّرون فى أَمرِ الخروج عن هذه الدِّيار ، لولا أَنْ شدَّتْ من أَزْرِهم رسالةٌ جاءَتْهم من المنافقين ، وشجَّعَتْهم على عِصْيان أَمرِ الرَّسول . فقد كَتبَ رئيسُ المنافقين « عبدُ الله بن أُبىّ » : لا تَخْرُجُوا من دِيارِكم ! وإياكم والجلاءَ عن أَوطانكم ! إنَّنا سَننصرُكم : « لَئِن أُخرِجتُم لنَخْرُجنّ معكم ولا نُطِيعُ فيكم أحداً أبداً ، وإن قُوتلْتُم لَننْصُرنَّكم[1] ! » .

---

(١) سورة الحشر آية رقم (١١) .

قال سلاَم أحدُ سَادات بَنِي النَّضِير لِحُيَيّ :

واللهِ لقَد مَنَتْكَ نفسُك يا حُيَيُّ بِالباطل . إنّ ما قاله ابنُ أُبَيٍّ كَذِبٌ وافتراء ، وهو إنَّما يُرِيدُ أن يُوقِعَك وقومَك فى الهلاَك !

قال حُيَيٌّ : نَتَخَلَّى عَن كلِّ شىء إلاّ عداوةَ مُحمد وقِتالَه !

قال سَلاَم : هُوَ — واللهِ — جلاؤنا من أرضِنَا ، وذهابُ أموالنا وشَرفنَا ، وسبيُ نِسَائنا ، وقَتْلُ رجالنا !

وحملَ رَايةَ الجهاد علىُّ بنُ أبى طالِب ، وقاتَلهم جُنْدُ المُسلمين بعد أن حاصرُوهم فى دِيارِهم عشْرين ليلةً ، وأَمرَ رسول الله بقطْع أَشجارِهم ، فقُطِع بعضُها[1] . ولم تَطِبْ نفُوسُ المسلمين بهذا العمل حتى نزلَ فى ذلك قَوْلُ الله تعالى : « ما قَطعتُم من لِينةٍ[2] أو تَرَكْتُموها قائمةً على أُصُولها فبإِذْنِ الله » .

وخرج بنو النَّضِير لا يأخذُ الرَّجلُ من متَاعِه إلاّ قدْرَ ما يحْمِلُه جَمَلُه ، ويَدَعُ الباقى . . . . وذهَبُوا إلى الشَّام حيثُ لا رجعةَ لهم . واستولَى الرسول على أَراضِيهم وما بَقِىَ لَهُم من متاعٍ ، ونالَ منه المُهاجرون ما أَغناهم بعدَ ذلك .

قال سلاَم لحُيي : أينَ نَصْرُ ابنِ أُبَيٍّ الَّذى زَعَمتَ ؟

قال حُيي : ماذا أَصنَع ؟ ! هى مَلحَمة[3] كُتِبتْ علَينا .

---

(١) لم يقطع سوى ست نخلات

(٢) لينة : نخلة

(٣) ملحمة : حرب

قال الإمام البُوصِيرىّ الشَّاعر صاحِبُ الهمزية يَصِفُ خِدَاع المُنافقين لِبَنى النَّضير ويذكُر ما أصابَ بنى النضير من بؤسٍ وشقَاء :

خُدِعُوا بالمنافقين وهلْ يَنْفُقُ[1] إلاّ على السَّفيه الشَّقاء
ونُهيتُم وما انْتهتْ عنهُ قومٌ فأُبيدَ الأَمَّار والنهَّاء[2]
أسلمُوهم لِأولِ الحَشْرِ لا مِيعَا دُهم صَادقٌ ، ولا الإيلاء[3]
سَكن الرُّعبُ والخرابُ قلوباً وبُيوتاً منهم نَعَاها الجلاء

ونزلتْ سورةُ الحَشْر كلُّها فى شأنِ بَنى النَّضير . وكان سيِّدُنا عبدُ الله بنُ عباس يُسمِّيها : « سورةَ بَنى النضير » .

قِصَّةُ مَنْ أَسلَمَ مِنْهم :

وأَسلَم من بَنى النضير رَجُلان هُما : أبو سَعْد بنُ وهْب ، ويَامين بن عُمير . قال أبو سعْدٍ لصاحبه :

والله إنك لتعْلمُ أنه رسولُ الله ، فما نَنتظِرُ أن نُسْلِمَ حتى نأمنَ على دِمائِنا وأمْوالِنا ؟ ! ثم أعلنا إسْلامَهما ولم ينلْهُما سوء بعد ذلك .

وأغرى « يامينُ » رجلاً من قَيْسٍ ليقْتل ذلك الرَّجل الذى أراد أن يَرضخ رأسَ الرَّسول بالحجر ففعل ونالَ منه عشرةَ دنانير .

---

(١) ينفق : يجد عنده قبولا .
(٢) الأمار : الكثير الأوامر ، والنهاء : الكثير النواهى .
(٣) الإيلاء : القسم .

سُورَةُ الْمُمْتَحنَة

مدنية ، وهى ثلاث عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِى سَبِيلِى وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا

بِاللهِ وَحْدَه إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ
لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا
وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٥) لَقَدْ كَانَ
لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦) عَسَى اللهُ أَنْ
يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ
وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧) لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ
يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ
وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ
اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ
وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ (٩) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ
مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ
يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ

تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (١١) يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ (١٣) . »

مقتطفات من معانى سُورة الممْتَحَنَة

(١) قِصَّةُ حَاطِب بنِ أَبى بَلْتَعَة .
(٢) التأسِّى بإبراهيم ومَنْ معَه .
(٣) قِصة أسماء مع أمها .
(٤) مُعَاهَدَةُ الحُدَيْبِية
(٥) امْتِحانُ المُهاجِرَة
(٦) مبايعة النِّساء .

١ ـ قصَّةُ حَاطِب

حاطِبُ بنُ أبى بَلْتعةَ صَحابِيٌّ آمنَ بِرَسول الله وشَهِدَ معَه بدرًا ، وهاجَر معَ منْ هاجرَ من المسلمين إلى المدينة فأقَامَ بِها وخلَّى أولادَه وأقَارِبَه من المُشْرِكين فِى مكة . وحينما عِلم بِأنَّ النَّبىَّ يُعِدُّ جَيْشَه لِفَتْح مكة ، أرسلَ رِسالةً مَع امرأةٍ لأهلِ مَكَّة جاء فِيها :

مِن حَاطِبِ بْنِ أبى بَلْتعة إلى أهلِ مكَّة ، اِعلمُوا أنَّ رَسُولَ الله يُرِيدُكم فَخذُوا حِذْرَكم .

ونزلَ جِبْريلُ بِخَبَرِ هَذهِ المَرأة الَّتى تَحمِلُ الرِّسالةَ المذْكُورة ، فبعَثَ النبىُّ ـ عليه السلام ـ عليًّا والزُّبيْرَ والمِقْدادَ وغَيْرَهم فى طلبها ، فَسارُوا حتَّى وصَلُوا مَوضِعًا[1] يبعُدُ عن المدينة اثنىْ عشَر ميلاً ،

(١) روضة خاخ .

وهنالكَ التقوا بالمرأةِ ، ولكنَّها أنكرتْ عليهم أمرَ الرِّسالة ، فسلَّ عليٌّ سيْفَه وهدَّدها ، فأخْرَجتْها مِنْ ضَفَائِرِ شعْرِها . وعادَ الوفْدُ مظفَّرًا يَحمِلُ رِسَالَةَ حَاطِب . ودَعا الرَّسول حَاطِباً وسأله : ما الَّذِى حملك علَى ما فعلْتَ ؟

فأجاب حَاطِبٌ : يا رسولَ الله ما كَفرْتُ منذُ أسلمْتُ ، ولا غَشَشْت مُنْذُ نَصحْتُك ، ولَا أحببْتُهم مُنْذُ فَارقْتهُم ، ولكنى كُنْتُ أمرأً مُلْصَقاً فِى قُرَيْشٍ (غَرِيباً عنهم) ، وكُلُّ مَنْ مَعَكم من المهاجرينَ لهُم قَرَاباتٌ بمكَّةَ يَحْمُون قَرَابَاتِهم وأموالَهم غَيْرى ، فخَشِيتُ على أَهْلِى ، وأردْتُ أن أتّخذ عند أهْلِ مكة يَدًا ، وقَد عَلِمتُ أنَّ الله تعالى سيُنزِلُ علَيْهِم بأسَه ، وأن كِتَابِى لا يُغْنِي عنهم شيئاً . فصدَّقه النَّبِىُّ ، وقَبِلَ عُذْره .

فقال سيِّدنا عُمر : دَعْنِي يا رسولَ أضربْ عُنُقَ هذا المُنافق ، فقال النَّبِىُّ : « إنّه شَهِد بدراً ، وما يُدْرِيك لعلَّ الله اطَّلع علَى أهْلِ بَدْرٍ فقال : اِعْملوا ما شِئْتُم فقد غَفَرْتُ لَكم » .

ونزل قوله تعالى : « يَأَيُّها الَّذِين آمنوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وعدوَّكم » . . . . إلخ .

تَنْهَى المُؤمنين عن مُوالَاةِ أَعْدائِهم وإفْشَاءِ أَسْرارِ المُؤمنين بِغَرَضِ التَّقرُّب إلى الكفَّارِ ، لِأَنّهم يُخَالِفُونهم فى الدِّين ، ولأنهم إنْ يظفَرُوا بهم يُذِيقُوهم ألْوانَ العَذَابِ ، بالقتل والضَّرْب ، والشَّتم والسَّب ، ولن ينفعَهم حِينئذٍ الاتصالُ بِهِمْ والتَّقربُ إليهم .

٢ ـ التأسى بإبراهيم ومن معه

« لَقَدْ كَانَتْ لكم أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فى إبراهيم والذين مَعَه » .

أَرشَدَ اللهُ المُؤمنين من أمثالِ حاطِب إلى قِصة إبراهيم وأصْحَابِه من المؤمنين ، فَفِيها مَثَلٌ رائِعٌ من أمثلةِ الإيمان الخالِصِ ، والعقيدة الصادِقة ، والأسوةِ الحَسَنَة ، فقد تبرأ إبراهيمُ والذين معه من قَوْمِهم ، ونبـذُوهم نَبْذَ النَّواة ولم تَأخذْهم شَفَقَةٌ على ولَدٍ ، أو خَوْفٌ على مالٍ . . . وقالُوا لِقَوْمهم . « إنَّا بُرَآء مِنكُم وَمِمَّا تَعبدُون مِنْ دُون اللهِ كَفرْنا بِكُم وبَدَا بَيْننَا وبَيْنَكم العداوةُ والبَغْضَاء » .

وأنكَر إبراهيمُ عَلَى أبيه عبادةَ غَيْرِ اللهِ كَما جَاءَ فِى سُورة الأَنْعَام : « وإذ قَالَ إبراهِيمُ لأبيه آزرَ أتتَّخِذ أصْناماً آلهةً إنِّى أراكَ وقومك فى ضلالٍ مبين[1] » .

وَتِلكَ هِىَ قضيَّة الإيمَان الصَّحِيح . . . ! !

ومن واجبِ المؤمنين أن يتوكّلوا على رَبِّهم ، ويَرْجِعُوا إلَيْه فِى جَمِيع أُمُورِهم ، وَيَرفعُوا إليه أكفَّهم سَائِلين متضَرِّعين :

« ربَّنا لَا تَجعَلْنا فِتْنةً لِلذِين كَفرُوا ، واغفرْ لَنا رَبَّنا إنّك أنتَ العَزِيزُ الحَكِيم » .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية رقم ٧٤ .

٣ ـ أسماءُ وأُمُّها

كانت قُتَيْلَةُ بِنْتُ العُزَّى ـ أمُّ أسماء ـ مَشْرِكةً ومطلَّقةً مِن أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْه ـ فقَدِمَتْ ذَاتَ يَوْمٍ على ابْنَتِها ، وطَلَبَتْ أن تَقْبَلَ منها هَدَاياها . فأَبَتْ أسماء ، وامتنعَتْ من أن تَسْمَحَ لها بالدُّخول فِي بَيْتِها ، وأرسلَتْ إلى عائشةَ لِتَسْأَلَ رسولَ الله (ص) عن ذلك . فأنزل اللهُ هَاتين الآيتين :

« لَا ينهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِين لم يُقَاتِلُوكم فى الدِّين . . . » إلخ .

فأمرَ الرَّسولُ أسماء أن تَقْبَلَ هَدِيَّةَ أُمِّها ، وأن تُدْخِلَها بَيتَها ، وأن تُكْرِمَها وتُحْسِنَ إليها .

وَملخَّصُ الآيتين :

(١) يجُوزُ لِلْمسلمين أن يُحْسِنُوا مُعَامَلَةَ الكُفَّار ما دَامُوا لم يقُومُوا بِأعمال تضُرُّ بِهم .

(٢) أما إنْ فَعلوا ما يَضُرُّ المُسْلِمين ، كأن يَتعاونُوا على إخْراجِهم من أوطانِهم ، أو يَعْمَلُوا على الانْتِفاع بخيْراتِ بِلَادِهم دُونَهم ، فإنَّ واجِبَ المسلمين حينئذٍ أن يقاتِلُوهم ، ويَتعاونُوا على مقاومَتِهم ، والدفاعِ عن مَصَالِحهم ؛ وكلُّ من يُصادِقُهم من المسلمين يُعْتَبَرُ خَائِناً وظَالِماً لنفسه ، ومُخَالِفاً لِأَمر الله .

٤ — مُعاهَدةُ الْحُدَيْبِيَةِ

وفى سنة سِتٍّ من الهِجْرة عاهَدَ النبيُّ أهلَ مكة عهدَ الحُدَيْبِيَة[1] ، وخلاصةُ هذا العَهْد : أنَّ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا منْ أهلِ قُرَيْش أعادَهُ إليهم ، ومَن جاء قُرَيْشًا مِن أَصْحَابِ مُحَمَّد لم يَرُدُّوهُ عليه .

ولمَّا كانَتْ هذه المُعاهَدَةُ لا تَنْطَبِقُ إلَّا على الرِّجال فقط ، فقَدْ بيَّنَ اللهُ فِى السُّورة (سُورةِ المُمْتَحنة) أمرَ النِّساء اللَّائِى يُهَاجِرْنَ مِن مَكَّة إلى المَدِينَة فِراراً بِدِينِهِنَّ مِن مَوْطِنِ الكُفَّار .

٥ — امتحانُ المُهاجِرةِ

« يأيها الذين آمنُوا إذا جاءكم المُؤْمِنَاتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ .. »

ومادةُ هذا الامتحان أن تُقْسِمَ المُهَاجرة بالله : إنها ما خَرَجَتْ كارِهَةً لِزَوجها ، وإنَّما خَرجتْ حبًّا لِلهِ ولرسُوله .

ويَوجبَ على المؤمنين ألَّا يُعيدُوهن إلى أزواجِهنَّ من الكفار ، فقد انقطعتْ صِلَتُهن بِهِمْ بسَبب إيمانهن ، وعلَيْهم أيضاً أن يَرُدُّوا لِأَزواجِهنَّ ما دَفَعُوه إليْهِنَّ من مُهُور . وقد نَفَّذ سيِّدنا عُمَرَ هذا الحكم حينما تزوَّج سُبَيْعَةَ بِنتَ الحارث إحْدَى النِّساء المُهاجِرات بَعْدَ مَادَفَع مَهْرَها لِزوْجِها مُسافِرٍ المَخْزُومىّ حينَ قَدِم إلى المَدِينَةِ طالباً لَها .

---

(١) الحديبية : قرية صغيرة بالقرب من مكة سميت باسم بئر هناك .

وكذلك أمرَ اللهُ المُشْرِكين ، إلَّا أنهم لم يَرُدُّوا شَيْئاً من مُهُورِ النِّساء اللَّاتِي بَقِين على الكُفْر .

٦ – مُبايَعَةُ النِّساء عِنْد فَتْح مكَّة ، وقِصَّةُ هِنْد

لَمَّا بايَع الرِّجالُ النَّبيَّ عِنْدَ فَتْح مكَّة ، أقبَل النِّساء كَذلِكَ وَبايَعْن رَسُولَ اللهِ على ما يأتِي مِن العُهُود ، وَفيهن هِنْدُ بنتُ عُتْبَة :

قالَ عليه الصلاة والسلام : أُبايِعُكُنَّ على ألَّا تُشْرِكْن بالله شَيْئاً .

قالت هِنْد : واللهِ لَقد عَبَدْنا الأصنامَ ، وإنَّك لَتأخُذُ علَيْنَا أمراً مَا رَأيناك أخذتَه على الرِّجال ، تُبايِعُ الرِّجالَ على الإسْلام والجِهَادِ . . .

فقال عليه السلام : ولا يَسْرِقْنَ .

قالت هند : إنَّ أبا سُفْيان رَجلٌ شَحِيحٌ ، وإنِّي أصَبْتُ من مالِه هَنَاتٍ[1] ، فما أدرِي أتَحِلُّ لي أم لا ؟!

قال أبو سفيان : مَا أصبْتِ من شَيء فيما مَضَى وفيما غَبَر فَهُو لَكِ حَلَالٌ .

فضحك رسولُ الله وعَرَفَ هِنداً حِينَئذٍ فقال لها : وإنَّك لِهِنْد بِنْتُ عُتْبة .

---

(١) هنات : قليلا من المال .

قالت هند : نَعَم . فاعفُ عَمَّا سَلَفَ يا نَبِيَّ اللهِ عفا اللهُ عَنكَ[1] !

فقال النبي : ولا يَزْنِينَ !!

قالت هند : أَوَ تَزْنِي الْحُرَّةُ ؟ ؟

فقال النبي : ولا يَقتُلْنَ أولادَهُنَّ !!

قالت هند : رَبَّيْناهُمْ صِغاراً ، وقَتَلْتَهُم[2] كِباراً فأنتم وَهُمْ أَعلَمُ !
فَضَحِكَ عُمَرُ حَتَّى اسْتَلْقَى ، وَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ .

قال النبي : ولا يأتِينَ بِبُهْتَانٍ !!

قالت هند : إنَّ البُهْتَانَ لأمرٌ قبيحٌ وما تأمُرنا إلَّا بالرُّشْدِ وَمَكارِمِ الأخلاقِ !!

فقال النبي : ولا تَعْصِينَنِي فِي مَعْرُوفٍ .

فقالت هند : واللهِ ما جَلَسْنَا مَجلِسَنا هذا وفي أنفُسِنا أن نَعْصِيَكَ في شيءٍ .

وتَمَّتْ بَيْعَةُ النِّساءِ طِبقاً للآيةِ : « يا أيُّها النَّبِيُّ إذا جاءكَ المؤمناتُ يُبايِعْنَكَ . . . » إلخ .

---

(١) تشير إلى ما فعلته حين لاكت كبد حمزة تشفيا .

(٢) وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر

سُورَةُ الصَّف

مدنية ، وهى أربع عشرة آية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« سَبَّحَ لِلهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِه يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالبَيِّنَاتِ قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧)

يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِى إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (١٤) . »

مقتطفات من معانى سورة الصَّف

(١) افتُتِحتْ هـذه السورةُ الـكريمة بِتَسبيح المَوْلَى عزَّ وجلَّ ، وتَسْبِيحُه — عزَّ وجلَّ — هو تنزيهُه وتقْديسُه عن كل ما لا يليقُ به . وكلُّ ما فى هذا الوُجُود يسبِّح الله « وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَـكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » .

(٢) وقد رُوِىَ عن سيِّدِنا عبد الله بن عَباس رضى اللهُ عنهما فى سَبب نُزُول قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لِمَ تَقُولُون مَا لَا تَفْعَلُون؟ » أن ناساً من المؤمنين — قبل أن يُفْرضَ الجِهادُ فى سَبِيلِ الله — كانوا يقولون : « وَدِدْنا لو أن اللهَ أخبَرنا بأَحبِّ الأعمالِ إليه فنعملَ به » . . . . فأخبر الله نبيَّه أَن أَحبَّ الأعمالِ إليه هو الإيمانُ الخالصُ به ، وجهادُ الذين يُخالفون عَن أمرِه كما جاء فى الآية : « إنَّ اللهَ يُحِبُّ الذين يُقاتلُونَ فى سَبِيلِهِ صفًّا كأنَّهم بُنيانٌ مرْصُوصٌ » . فَكرِه بعضُ أُولئك النَّفرِ أمرَ الجهاد ، وثقُل على أنفسهم أن تخوضَ مَيَادِينَ القتـال ، جُبناً منهم وحِرْصاً على الحياةِ . فأنزل اللهُ سبحانه الآية : « يا أيُّها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أن تقولوا ما لَا تفعلون » ! !

(٣) وَوَرد فى ثنايا هذه السورة إنـكارُ سيِّدنا موسى على قومه ما فَعلُوه

مَعهُ مِمَّا لا يليقُ أن يتعرَّض له نبيٌّ أرسلهُ ربُّه لإسعادِ البشر ، ولكنَّ بنى إسرائيل الذين آذوْا مُوسى ، وكفروا بربِّهم حينما عَبدُوا العِجل — فصرف الله قُلوبَهم عن قبول الحق والميلِ إلى الصواب — هُمُ الذين أنكروا نُبُوَّةَ عِيسى بنِ مريم ، حينما أخبرهم أنه مرسلٌ مِن عِندِ الله ، مُصدِّقاً بالتوراة التى أُنزِلتْ على مُوسى ، ومُبشِّراً بِرَسُولٍ يأتى مِن بعدِه اسمُه أحمدُ ، وهو أحدُ أسمائه صلى الله عليه وسلم .

(٤) مَا هو الغرض من ذكر هاتين القِصَّتين ؟

الغرضُ تَذْكِيرُ المؤمنين مِن أمةِ محمدٍ بهذهِ العواقب الوخيمة التى تنالُ المخالفين لأوامر الله .

(٥) ليس أحدٌ أظلم مِمَّن يَكْذِبُ على اللهِ ، فيصفُ ما جاء به النَّبىُّ من القرآنِ الكريم بأنه زورٌ وبهتانٌ ، وأنه إفْكٌ افْتَراهُ على اللهِ « وأعانه عليه آخرون » ؛ وما مثلُ هؤلاء المُفتَرِين المُتطاولين على الله وعلى نَبِيِّه ، إلَّا كمثل من يتَّجِهُ إلى نورِ الشمس فينفُخُ فيه ليطفِئه . هل يستطيعُ ذلك ؟ كَلَّا ! !

« هُوَ الذى أرسلَ رَسُولَهُ بالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه ولو كَرِهَ المُشْرِكُونَ » !

(٦) وفى نِهاية السُّورة حضٌّ للمؤمنين على بذلِ المالِ والنَّفس فى سبيلِ الله ، وتلك تجارة مضمونةُ الرِّبح ، حسنةُ العواقب ، ولو بذل

المؤمنون أنفسهم وأموالهم لغفر اللهُ ذُنُوبَهم ، وأدخلَهم يوم القيامة جنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِها الأَنْهـارُ فِى مَسَاكِنَ طَيِّبةٍ ؛ وفيها حثٌّ على الجهاد ومناصرة الرسول ، كما حدث لسيِّدِنا عيسى مع أضفيائه مِن قومه حِينما ناداهم : « مَنْ أنصارى إلى الله » ؟ ؟ قال الحواريون المخلصون : « نحنُ أنصارُ الله » . وبذلك تمَّت النُّصرة والغلبة على من عاداهم من الطوائف الأخرى .

١ ـ وَحْدَانِيَّةُ اللهِ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلٰـهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُه عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّه لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِين (١١٨) . »

(سورة المؤمنون)

شَرْحُ التَّعَابير والْمُفْرَدَات

أَفحسبتم : أفظننتم .

عَبثًا : لَهْوًا ولعِباً .

العرش : « لغة » سريرُ المُلك .

لا بُرْهانَ له به : لا دَليلَ له عليه ، ولا حُجَّةَ .

توضيح المعنى

تُعالِجُ هذه الآيات الكريمة ثلاثَ نواحٍ :

(١) الحكمةُ مِن خَلْقِ العالَم .

(٢) حُكْمُ من يَعْبُدُ مع اللهِ غيرَه .

(٣) تَعْليمُ الدُّعاء بِطلَبِ المَغْفِرةِ .

واقترن أسلوبُ الآيةِ الأولى « بالهمزة » التى تُستعملُ للاستِفهام لغرض الإنكار على من يَحْسَبُ أن الله خلق هذا الكون : سماءه وأرضَه ، وما اشتمل عليه كلٌّ منهما من أصنافِ المخلوقاتِ العجيبة — عبثاً ولهواً . إنه حُسبانٌ باطلٌ ، وتفكيرٌ خاطِئٌ ، بل التفكير الصحيح الذى ينبغِى أن يكون هو : أن اللهَ خَلَقَ الخلقَ من أجل أن يأمرهم بالعمل ، ثم يبعثهم يوم القيامة ليجازيهم على ما عَمِلُوا .

قال الإمام الترمذِىُّ : إنَّ الله خلق الخلق ليعبُدُوه فَيُثيبهم على العِبادة ويعاقبَهم على تركها . فَإنْ عَبَدُوه فإنهم عبيدٌ أحرارٌ كرامٌ من رِقِّ الدُّنيا ، ملوكٌ فى دارِ السَّلام . وإن رَفضُوا العبودية فهُم اليوم عبيدٌ ، وغدًا أعداءٌ فى السجون بين أطباقِ النِّيران .

تَنَزَّه اللهُ عنِ اللَّهوِ والعبَثِ فِى أَفعالِه ، فهو المَلِكُ الحقُّ ، لا إلهَ

غيرُه مالِكُ هذا الكوْنِ بما فيه ، وخالِقُ العرشِ الكريم ، الذى يُحِيطُ بجميع الأَجرام السَّماوية والأرضية .

وهو الذى يَسْتَغْنِي عن كُلِّ موجود ، ويحتاج إليه كُلُّ مَوجُود .

حُكمُ مَن يعبُد غير الله :

أما من يَعبُد مَعَ اللهِ إلـهاً آخرَ مِن غيرِ أن يكونَ عِندَه دليلٌ يَعتمِدُ عليه ، أو حُجةٌ واضحةٌ يستنِدُ إليها ، محاكاةً لآبائه أو تقليداً لِمعَارِفِه وأصدقائِه ، أو انحرافاً فى التفكير ، فإنما جزاؤُهُ عِندَ ربِّه ، يُجازِيه بِسوء اعتقادِه ، وخطأ تفكيره ، وضَلالِه عن الطَّريق السّوىِّ .

الدُّعاء بطلَبِ المَغْفِرة :

وفِى الدُّعاء بطلَبِ المَغفِرة علَّم اللهُ نَبِيَّه أن يسأَلَهُ غُفران الذَّنب ، وطلبَ الرَّحمة ، بقوله : « وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وارْحَمْ وَأَنْتَ خَيرُ الرَّاحِمِين » .

فهو وحده الذى يُسأَلُ لِيُفِيضَ علينا مِن نعمِهِ الكثيرة وخيراتِه الوفيرة .

ومن أَدْعِيَتِه صلى اللهُ عليه وسلَّم أنَّه كان يَقولُ :

اللهم زِدْنا ولا تَنْقُصْنا .

وَأَكْرِمْنا ولا تُهِنَّا .

وأَعطِنا ولا تَحْرِمْنا .

وآثِرنا[1] ولا تُؤْثِرْ علينا .

وارضَ عنَّا وأرضِنَا .

وَرُوِيَ عن سيِّدنا أبي بكْرٍ الصِّديق رَضيَ اللهُ تعالى عنه أَنَّه قال : يَا رسولَ اللهِ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِه فى صَلَاتِي . قال : قُلْ : « اللَّهُمَّ إِنِّي ظلمتُ نَفْسِي ظلماً كثيرًا ، وإِنَّهُ لا يغفرُ الذُّنُوب إلا أنتَ ، فاغْفِرْ لِي مَغفرةً مِن عِندِك وارحمنى إِنَّكَ أنتَ الغفورُ الرحيمُ » .

---

(١) آثرنا : خصنا برحمتك ، ولا تصرفها عنا بسبب معاصينا .

٢ – مِن مشاهِد القِيَامة

« وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِى الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) . »

(سورة الزمر)

شَرْحُ التَعابير والمفْرداتِ

الصُّور : البُوق

فَصَعِقَ : فمات

الكتاب : صحائِفُ الأعمال

توضيح المعنى

هذه هِىَ نِهايةُ الدنيا وبدايةُ العالَمِ الأخْروِىِّ كما يَحكِيها القُرآنُ الكَرِيم : يُنفخُ فى « الصُّور » ، والنافخ فِيهِ منَ الملائكةِ هو إسرافيلُ .

وعند النَّفخةِ الأولى يَموتُ الخلائقُ جميعاً ، فلا يَبقَى على ظهرِ الأرض حيٌّ من هذه المخلوقاتِ ، لا مِنَ الإنسِ ولا مِن الجنِّ ولا مِنَ الحيوان ولا مِن الطيْر . . . وعند النَّفخة الثانية بإذنِ اللهُ بقيام الناس من مَوتِهم فتعودُ الأرواحُ إلى أجسادها ، فإذا هُم يَنتَشرون مرةً أخرى على ظهر الأرض ، وإذا بِهم فى العالَمِ الآخر . . . عالَمِ الحساب .

« إذا زُلزلتِ الأرضُ زِلزالها ، وأخرجتِ الأرضُ أثقالَها ، وقال الإنسانُ مالَها ، يومئذٍ تُحدِّثُ أخبارَها بأنَّ ربك أوحى لَها ، يومئذ يصدُرُ النَّاسُ أشتاتاً لِيُرَوا أعمالَهم فمن يَعْمَلْ مِثقالَ ذرةٍ خَيْراً يَرَه ، ومَنْ يعمَل مِثقال ذرّةٍ شرًّا يره » .

« وضَرب لنا مثلاً ونسيَ خَلقَه ، قالَ : مَنْ يُحْيِي العِظامَ وَهِيَ رَمِيم . قُلْ يُحْيِيهَا الذِى أنشأها أولَ مرةٍ وهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم »[1] .

قال العالِمُ الجليل مُحمد فَريد وَجْدِى — عليه رحْمَةُ اللهِ — فى تفسيره ، عند مناقَشةِ مَعنى هذهِ الآية : « وعِندنا أن النفخ بالبُوقِ هو تَعْبِيرٌ قُصِدَ منه : الإعلانُ بمجىء يوْم القيامة وبدايةِ البعث » .

وفى ذلك اليوْمِ تَبرزُ صُحُف الأعْمالِ وسِجِلاَّتها وتُنصَبُ المَوازينُ لمحاسَبةِ النَّاس على ما عَمِلوا فى الدنيا ، وحينئذٍ تُشرِقُ الأرضُ بما يَنتشِرُ فيها من العدْل ، فلا ظُلْم ولَا جَوْر ، وينالُ كُلُّ فَرْدٍ

(١) سورة يس .

ما يَستَحِقُّه من خَيْرٍ أو شرٍّ ، وسيكونُ من شُهُودِ الموقف الأنبياءُ والملائكةُ ، ثم يُساقُ أهلُ الجنَّة إلى الجنَّة وأهلُ النَّار، إلى النَّار ، كما تقص علينا الآياتُ التى تلى هذه خَبرَ ذلك ؛ ولن يَنفعَ المَرءَ يَوْمئذٍ إلاَّ مَا كَسَبه مِن عَمَلٍ صَالح ، والمُفلسُ الذى يَجىء فى ذلكَ اليوم العَظِيم وقدْ جَنَى كُلَّ مُوبِقَةٍ وَسَعى إلى كُلِّ مُفْسِدَةٍ . رُوِىَ عَن أبى هريرَة أنَّ رسولَ اللهِ (ص) قال : « أتَدْرون مَن المُفلِس ؟ » قالوا المفلسُ فينا مَن لاَ دِرهَمَ له ولا مَتاع ، فقالَ رسولُ اللهِ : « المفلسُ من يَأتِى يومَ القِيامَةِ بِصَلاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيامٍ ، ويَأتِى قَدْ شَتَمَ هذا وقَذَفَ هذا ، وأكَلَ مالَ هذا ، وسَفَكَ دَمَ هذَا ، وَضَرَبَ هَذا ، فَيُعطَى هذا مِن حسناتِه ، وهذا من حسناتِه ، فإنْ فَنِيَتْ حسناتُه قبلَ أن يُقْضَى ما عليْه أُخِذَ مِن خَطاياهم فطُرِحَتْ عَليه ثم طُرِحَ فى النَّار[1] » .

---

(١) رواه مسلم .

٣ ـ طَوائِفُ إِلى النَّارِ وَأُخْرَى إِلى الْجَنَّة

« وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) . »

(سورة الزمر)

شَرْح التَّعابير والمفْردات

زُمَراً : جَماعَاتٍ

خَزَنَتُها : حَفَظَتُها ، وهم الملائكة الموكلون بها

فَبئسَ مَثوى المتكبّرين : سَاءَ مَحل إقامة المُتكبِّرين.

نتبوأ من الجَنَّة : نَسْكُن من الجنة .

توضِيحُ المعْنى

فى هَذِه الآياتِ عَرضٌ لِما يَحدُثُ يوم القيامة ، وهُو الْيوْم الذى يُحاسَب فِيهِ كلُّ فَرْدٍ علَى مَا كَسَبَتْ نَفسه ، وجَنَتْ يداه من عمَل ، والموقِفُ حينذاك دَقيقٌ رَهيبٌ ، يختلِفَ فيه النَّاس كما اختلفتْ أعمالهم فى دَارِ الدُّنْيا .

هَا هِىَ ذِى طَوائِفُ أهل النَّار ، تُساقُ فى ذِلَّةٍ ومهانَةٍ إلى مَثواها الأَخير يستقرُّون فى أحضانِ جهَنَّمَ ، وهذه الطوائف من البَشرِ هىَ وقودُ النار ، قال الله تعالَى : « يأيها الذينَ آمنُوا قُوا أنفُسَكُم وأهلِيكُمْ ناراً وقودُها الناسُ وَالحجارةُ[1] » ونيران جَهنَّم المتأجِّجة لا تَشْبَعُ من أحَدٍ ،

---

(١) سورة التحريم ، الآية رقم ٦ .

ولا تكتفى بطائفةٍ دُونَ أخرى ، ولكنها مُعدَّة لإقامتهم الدائمة . قال تعالى : « يوم نقولُ لجهنَّم هلِ امتلأت ؟ وتقولُ : هل مِن مَزيد[1] ؟ »

وَحِينَما تَرَى جهنمُ المُجرمين تَهِيجُ من الغَيْظِ عليهم : « إذا رأتهم منَ مكانٍ بَعيدٍ سَمِعوا لها تغيظاً وزفيرًا[2] » . وقد هيأ اللهُ لأهلِ النَّار طعاماً وشراباً . أما طَعامهم فَهُو شجرةُ الزَّقوم : « إن شجرة الزَّقوم طعامُ الأثيم ، كالمُهْلِ يَغْلى فى البُطُون . كغلْيِ الحَمِيم . خُذُوه فَاعْتِلُوه إلَى سواء الجَحِيم . ثم صُبُّوا فوْقَ رَأْسِه مِنْ عَذابِ الحَمِيم . ذُقْ إنَك أنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ[3] » .

وَثِمَارُ هذِهِ الشَّجَرَةِ مُرَّة كالحَنْظَل ، لا يَسْتَطيعُ الشَّخْصُ أن يبتلعَ منها ولو جُزْءًا يَسِيرًا . وكلما نَضِجَتْ جُلودُ أهلِ النَّارِ بَدَّلَهُم الله جلودًا غيرها : « إن الَّذِين كَفَروا بآياتنا سَوفَ نُصْليهم ناراً كلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهم بَدَّلْنَاهُم جُلُودًا غَيرَها لِيَذوقُوا العَذَابَ إنَ اللهَ كانَ عزيزًا حكيماً[4] .

الخُلُود فى النَّار :

يبقَى الكُفَّارُ فِى النَّارِ دَائِماً أبدًا وهكذا حَالُهم ، أما العُصَاةُ مِنَ المُؤمنين فَيخْرجون مِنْها بإذنِ اللهِ كما وَردَ فى القرآن الكَرِيم .

---

(١) سورة ق ، الآية رقم ٣٠ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية رقم ١٢ .
(٣) سورة الدخان ، الآيات رقم ٤٣ — ٥٦ .
(٤) سورة النساء ، الآية رقم ٥٦ .

سؤال وجواب :

وَقَدْ سَاقَتْ لنا الآيَاتُ الكَرِيمة أنَّ خَزنةَ النَّار ، وَهُمْ ملائكة العَذَاب تُخَاطِبُ هَذِه الطَّوائِفَ من أهْلِ النَّارِ تَوبيخًا لَهُم : « أَلَمْ يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم » مِنْ جِنْسِكُم ، يَحْمِلون إلَيْكُم رِسَالةَ اللهِ وَيَخوفونكم عاقبةَ هذا اليوم ؟ ؟

وَيَعْتَرِفُ الكُفَّار بمجيء الرُّسل ، وإبلاغِهم رِسَالاَتِ رَبِّهم إلاَّ أَنهم عَصَوا ، وَخَالَفوا رُسل رَبِّهم فَحقَّتْ عليهم كَلِمةُ العذَابِ لذلك ! ! وَقيلَ لَهُمُ ادْخُلوا أبوابَ جَهنَّم خَالدِينَ فِيها ، فَما أقبَح مَا صِرْتم إليه !

طوائف الجنة :

وَهُم أولئك الذينَ اتَّقوا ربَّهم ، فاستجابوا لدَعْوة الرُّسلِ ، وصدَّقُوا بِهِمْ ، ونفذوا ما حَمَلُوه إليهم من شرائع الله . . . . يُسَاقُون فى إجْلالٍ وإعْظامٍ ، وفى سموٍّ وفَخْرٍ ، مَرفوعى الرأس ، مَوفورى الكَرامة إلى حيث يتمتعون بِلذائِذِ الحَياةِ الآخِرَةِ فى جنةٍ عَرْضُها السَّمواتُ والأَرْضُ أُعدَّتْ للمتَّقين :

« مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتى وُعِدَ المتَّقون فِيها أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيرِ آسِنٍ وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتغيَّرْ طَعْمُه ، وأَنهارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبين ، وأَنهارٌ من عَسَلٍ مُصفًّى ولَهُمْ فِيها من كُلِّ الثَّمرَاتِ ، ومغفرةٌ من

ربهم[1] » ، وحينما تستقرُّ بهم الدَّارُ يُحَيِّيهم حُرَّاسُها تَحِيَّةَ التَّقْدِير والإجلال : « سلامٌ عليكم طِبتُم فادخلوها خالدين » ! !

ذلك هُو حَالُ المُخلصين من عباد اللهِ ! يَتَمَتَّعُون بِكُلِّ ما لَذَّ وطابَ ، فينالُون أَشْهَى المآكل ، ويَحْتَسُون ألذَّ الشراب وهم يَجْلِسُون كما يَجْلِسُ المُلوكَ فى الدُّنيا ، بلْ إنهم أَسعدُ حالًا من مُلوكِ الدُّنيا . وإذا كان خَمْرُ الدنيا يَضُرُّ بالشَّارب فى جِسْمِهِ فيفسِدُ عقله ، ويُصَدِّع رأسَه ، ويجعله أقربَ شَبَهًا بالبهائم ، فإنَّ خمْرَ الآخرة بِلَوْنِهِ الأبيض وطعمِه اللَّذِيذ يَبعثُ على السُّرور ، ولا يؤثِّر فى الأجْسَام .

« إلا عِبادَ اللهِ المخلَصِين . أولئكَ لهم رِزْقٌ مَعْلومٌ . فَواكِهُ وهُم مُكْرَمون . فِى جَنَّاتِ النَّعِيم . على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ . يُطافُ عَلَيْهم بكأسٍ من مَعِين . بَيْضَاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبين . لا فِيهَا غَوْلٌ ولا هُمْ عَنْها يُنْزَفُون[2] » .

لذَّة روحيَّة :

رُوِى عن النَّبى صلَّى الله عليه وسلَّم فيما جاء به عَنْ رَبِّه أنه قال : « قال الله عزَّ وجلَّ أعددتُ لِعبادِى الصالحين ما لا عَيْنٌ رأَتْ ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بشَر » .

---

(١) سورة محمد (ص) ، الآية رقم ١٥ .

(٢) سورة الصافات ، الآيات « ٤٠ – ٤٧ » .

وفى هذا دليلٌ على أنه — زيادةً على ما قدَّمْنا ذِكْرَهُ مِن تِلْك اللَّذائذ : لذَّةِ الأكْل والشُّرب والرَّاحَةِ — فإنَّ هناكَ مُتْعَةً أخرَى ، ونِعْمَةً أجلّ وأعظمَ من تلك اللذائذ هى لِقاء الله ، ورضوانُه على عَبْدِهِ ، وجاء فى القُرْآن : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرةٌ إلَى رَبِّها ناظِرَة » ، « فَمَنْ كَان يَرْجُو لِقـــاءَ رَبِّهِ فلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أحداً » .

تَهْذِيبُ الظالِمين وتَنْقِيتُهُم :

قالَ النَّبى (ص) : « يَخْلُصُ المؤمنون من النار فيُحْبَسُون على قَنْطَرَةٍ بيْنَ الجنة والنار ، فيُقتَصُّ لِبَعضِهم من بعض مَظالِم كانَتْ بَيْنَهُم فى الدنيا ، حَتَّى إذَا هُذِّبُوا ونُقُّوا أذِنَ لهم فى دُخول الجَنَّةِ » .

٤ ـ نِعَمُ اللهِ عَلَى الْعِبَاد

« وَاللهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فى ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِى مِنَ الجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَاسِ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) . »

(سورة النحل)

شرح التعابير والمفردات

لآية : عَلامَةً ودَليلًا .

الأنعـــام : الإبل ، والبَقر ، والغَنم .

الفَرْث : فَضَلات الحيوانات (الرَّوث) .

سائغًا : سَهْلَ المرور فى الحلْق .

ذُللا : مُمَهَّدة ، يَسْهُل المرور عَلَيْها .

توضيح المعنى

نِعَمُ اللهِ على عِباده كثيرةٌ ، تَجِلُّ عن العَدِّ ، ولذلك جاء فى القُرآن الكَرِيم « وآتاكُمْ من كُلِّ ما سَأَلْتُمُوه وإنْ تَعُدُّوا نعمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها إنَّ الإنسانَ لظلومٌ كَفَّارٌ[1] » .

وفى هذه الآيات حديثٌ عن جانِب منْ نِعَم اللهِ علَى عباده ، وتَعْدَادٌ لِمظاهِر قُدْرته الباهرة ، حتَّى تَهْتَدِىَ عقُول البشَرِ إليها ، فإذَا وضَحَتْ لهم آياتُها ، وبانَتْ لهم دَقائقُ صَنْعتها ، آمنُوا عن يَقينٍ ، وعلِمُوا أن خالِقَها هو اللهُ وحدَه : لَا شَرِيكَ لَه فى مُلكِه ولَا مُعاونَ له مِنْ خَلْقه . لَا إلَه إلَّا هُوَ خالِقُ كُلِّ شىء ! !

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية رقم ٣٤ .

أولا : نعمة الماء :

والماء عنصرٌ من العناصر الهامَّة التى تتوقَّف عليها حياةُ المخلوقات جميعاً . أنزله الله من السَّماء ، فأخرج به من الأرض أشجاراً ذاتَ ثمارٍ مختلفة ، وفواكه متنوِّعة ، ينعمُ بها الإنسان والحيوان كذلك . والأرض قبل أن ينزِلَ عليها الماء يابسة مُجدبة ، ولكنها سُرْعان ما تُخْصِب بعد هذا الجدب ، فتحيا بعد موت ، وتُمرِعُ بعد قحْط ، وفى ذلك آية على وَحدانية الله ، ومَظهرٌ من مظاهر قُدرته ، لا يَحْتاجُ إلى فِكْر أو تأمل .

ثانياً : نعمة اللَّبن :

واللَّبن هو الغذاء الكامل الَّذى يتكوَّن من العناصر الضَّرورية لبناء الأجسام . إنَّه مادَّةٌ تَجْرِى من ضُروع الأنعام ، الَّتى تَعْتَمد فى غذائها على ما تُخْرِجُه الأرض منَ المَرْعَى . وقد أرادَتْ حِكْمةُ العلىِّ القَديرِ أنْ يكونَ من غِذاء الحيوان ، مأكولِ اللَّحم — بعضُه دَمٌ خالصٌ ، وبَعْضُه الآخر فَرْثٌ ، فيغذى بعضُ هذا الدم خلايا خاصة بصنع لبنٍ خالصٍ سائغٍ للشَّاربين . إن ما يُوجَد فى كَرِشِ الحيوان من فَرث كَريه مُسْتَقْذَر ، تعافُه النفْس ، وما يَحْوِيه هذا الكَرِش من دَم ينفر منه الطَّبْع ، فكَيف جاز أن يكون الخارج من بَيْنِ هَذيْنِ العُنصُرَين ، عُنْصُرًا ثالثاً ، سائغاً فى الحلْق ، لَذيذَ الطعم ... هو اللَّبن ! ! ! إنَّها قُدرةُ الله ! !

فما أجلَّ نعمته تعالى ! وما أعظَم قُدرتَه !

قال صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بألبانِ الإبلِ والبقر فإنّها ترِمُّ من الشَّجرِ كلِّه[1] ، وهو دَواء من كُلِّ دَاء » .

ثالثاً : نِعمَةُ الثِّمار :

تنبت أشجارُ النَّخيل عِندَنا فى السودان بكثرة فى جهات « المديرية الشَّمالية » ، ويصَدَّر محصولها إلى شرق السودان وغَربه ، وجَنُوبه ، ويُؤكَل التَّمر ثمار النَّخيل رُطَباً ويابساً وهُوَ غِذاء جيِّد ، كَما يُتَّخَذُ منه شَراب حُلْوٌ لَذيذُ الطعم ، وتؤكَلُ ثِمار أشجار العِنَب ، ويُتَّخَذُ من زَبيب العِنَب شَرابٌ حُلْوٌ مُمْتِع ، يُطْفِئُ سَوْرة العطش — وأكثر ما يُسْتَعمل فى شَهر رمضان المعظَّم ويقدَّم للضيوف وفى مآدب الأفراح ، وجمهورية السودان تفكر فى الاستفادة منه بوجهٍ أوْسَع .

وقد أشارت الآياتُ إلى ما كان العَربُ يَستخرجونه من عَصير العِنَب ، فيَتَّخِذون منه شَراباً هو الخَمْر — كان حَلالاً عليهم شُرْبُه ، ولكنَّ الإسلَام حَرَّمَه عليْهِمْ لِمَا فِيه مِن مَضَارَّ عَظيمة ومَفاسِد كَبيرةٍ كما جاء فى سُورة المائدة :

---

(١) ترم من الشجر كله : تأكل من الشجر كله

« إنما الخمرُ والميسرُ والأنصاب والأزلام رِجسٌ من عَمَلِ الشَّيطَان فاجْتَنِبُوه لعلكم تُفْلِحُون[1] » .

رابعاً : نِعْمَةُ العَسَل .

والعَسَل مادة صَفْراء أو حَمْراء أو بيضَاء ، تَسِيل مِنْ بُطون حَشَرات صغيرةِ الحَجْمِ هِى « النحل » . وقد ألْهَمَ الله هَذِه الحَشَرات أنْ تَبْنِيَ مساكنها « خلاياها » بِطَرِيقة هَنْدَسِيَّة جَميلةٍ فى الجِبَال ، والأَشْجَار وفى بعض العروش التى يُشَيِّدها لها النَّاس من أغْصان الأشجار ، والنحل يَمْتصُّ رَحيقَ الثِّمار والأزهارِ ، ثم يَعُود إلى خَلاَياه ، لِيُخْرِجَهُ مُختلفَ الألوان ، لَذِيذَ الطَّعْم ، فيه شِفَاءٌ لِلنَّاس .

وَيُمجُّ النحل فى خلاياه أيضاً الشَّمع . ويتَّخذ النَّحل مِن بَين أفْراده مَلِكَةً عليهم تَمتَازُ بِعِظَم الخِلْقةِ ، وضَخامة الجِسْم وزوجها يُسمى : « اليعسُوب » وقد امتازتْ هـــذه المخلوقات العَجيبة بخَواص تدل على ما وَهَبها الله من ذكاء وفِطْنَة ، فهى مُنْقَادَةٌ لِمَلِكَتِها ، تُطيع أوامرها ، وتنفِّذ أحكامَهَا وتَخْرجُ من بُيُوتِها ، تَبْحَثُ عَن غِذَائِها ، ثم تَعُود إليها لا تُخْطِئُها ولا تَضِلُّ عَنْهَا . فَسُبْحان الذى ألهمَها وجعلَ مِن مُجَاجِها غِذَاءً نَافِعاً ومحبوباً ! !

---

(١) سورة المائدة ، الآية رقم ٩٠ .

العَسَل دَواء :

يَحتَوى العَسَلُ عَلَى مَادَّةِ[1] « الجُلُوكُوز » الَّذِى يُسْتَعْمَل مَع « الأَنْسُولين » فِى حَالَة الإصابة بمَرَضِ البُول السكرى . وقد جاء فى الحديث الشَّريف عن أبى سَعِيدٍ الخدرى رضى الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال إن أخى اسْتطلَق بَطْنُه (أصابه إسْهال) فأشارَ عليه النبى أن يَسْقِيه عسلاً . فسَقَاه . ثم عادَ وقالَ : لقد سَقَيْته عسلاً فلم يَزِده إلاَّ إسْهالاً ، فقال صلى الله عليه وسلم : صَدَقَ الله حيثُ قالَ : « فِيه شِفَاء للنَّاس » وكذبَ بطنُ أخِيك . اذْهَب فاسْقه عَسلاً ، فذَهَب ، فَسقاه فَبرئَ .

سؤال :

ما رأى الشَّرِيعة الإسلامية فى عَصِير التَّمر المَعْروف عِندنا إذا لم يكن مُسْكِرًا ؟؟

---

(١) كتاب : « القرآن ينبوع العلوم والعرفان » .

٥ ـ الأَخْذُ بِالثَّأْر

« اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا والَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨) . »

(سورة النحل)

شَرْح التَعابير والمفْردَات

وجادِلْهم بالَّتى هى أحسَنُ : ناقِشْهم بأَحْسَنِ الطُّرق .

ولا تكُ : ولا تكُنْ .

ضَيْق : شِدَّة ، وحُزْن .

توضيح المعنى

(١) فى الآية الأولى توجيهٌ وإرْشَادٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى إبلاغِه دَعْوَةَ رَبِّه للنَّاس. وإذا كانتْ طَبائعُ النَّاسِ تُعارِضُ كُلَّ مَنْ يدعو إلى خَيْر ، أو يَحُثُّ على فَضِيلة — والنَّاسُ دائماً يُعادُون ما يَجْهلُون نَفْعَه وبركَتَه — فإن مِن واجب الدَّعاة أن يَسْتعملوا اللِّين والرِّفق ، وأنْ تكونَ لَهُم مِن سَعَةِ الصَّدر ، وسماحة الخُلُق ما يُمكِّنهم من أداء مُهِمَّتهم التى يَقُومون بها ، وأن يُجَادِلُوا ويَستعمِلُوا فى جِدالِهم ومُناقشتهم معَ النَّاسِ خَيْرَ الطُّرق وأقربَها إلى العَقْل . فالمُحادَثة الهَادِئة ، والأدلة الواضِحَة المُقْنِعَة ، المقرونةَ بالمَوْعظة الحَسَنة ، تعتبر من أحْسنِ الطرق لإقناع مَنْ تريد إقناعه . وقد وصَفَ الله نفسية النبى فى مُعاملته للعَرب بقوله : « ولو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانفضُّوا مِن حَوْلك » .

(٢) وإذا كان الدَّاعى إلى سَبِيل الله يَنْبَغى أن يكون عَلى قَدْرٍ كَبير مِنْ سماحة النَّفسِ وكَرم الأخلاق ، كما عرفنا من الآية السابقة . فإنَّ الآيات التى جاءتْ بعد هذه الآية إلى آخر سورة النَّحل ، تعالج مَوضُوع الأَخْذ بالثأر ، وتُبيِّن مَوقفَ المرء مع غَيْره ، إن

أساء إليه أحدٌ أو أنزلَ به ضَرراً أو كارثةً كما حَدث للرسول صلى الله عليه وسلم .

سببُ نزول الآيات :

فى غَزْوة أُحد — التى كانتْ فى السَّنة الثَّالثة من الهجرة — قُتِلَ حَمْزةُ ابْنُ عبد المُطَّلب عم النبى ، فوقف النبى عليه السلام على جُثَّة حمزةَ وقد مثَّل به المشركون ، فساءه ما رآه ، وجرى لِسَانُه بهذه الكَلِمات ألماً وحُزناً عليه :

« رحمةُ الله عليكَ ، لقدْ كُنْتَ وصُولاً للرَّحم ، فعَّالاً للخيْر . واللهِ لئن أظفَرنى اللهُ بهم لأمثلنَّ بسبعينَ مِنهُم » .

فنزل حينئذ قولُ الله تعالى : « وإن عاقبتُم فعاقبوا بِمثل مَا عُوقِبتُم به ولئن صبرْتُم لَهُو خيرٌ للصَّابرين » .

فعفا رسولُ الله ، وقالَ : بلْ نصبِرُ عَلى ما أصَابنا ! ونهَى عن المُثْلة . ثم سجّى حمزة بِبُردَته وصلَّى عليه ودفنه .

وتَرْسُم الآيات خُطَّتَيْن واضحتين للأخذ بالثأر :

الخُطَّة الأولى :

أن تكونَ المعاقَبة ، أو الأخْذُ بالثَّأرِ — بِمثْلها . فمن ضَربك عَلى يَدِك ضربته على يَده . ومن أساء إليك أسأتَ إليه كذلك من غير زيادة .

الخُطَّة الثانية :

أن يُقَابِلَ الإساءة أو الضَّرب بالعفْو عَنِ المُسيء ، والصَّفْح عَن فعلَتِه . وهذه مكانة عَظيمةٌ ، ومرتَبةٌ لا يَصِلُ إليها إلا المتَّقون . فاعمل على أن تكون مِن ذوى الخُطَّةِ الثانية ، الَّذِين يَكْظِمُون غَيْظ نفُوسهم ، ويُحْسِنُون إلى من يُعَادِيهم ، وبِذَلك تَسْتَحِقُّ أن يكونَ الله مَعك بعَوْنه وفَضْلِه ورَحْمتِه : « إنَّ الله مع الذين اتقوا والذين هُمْ مُحْسِنُون » . قال صلى الله عليه وسلم :

« لَيْس الشَّديد بالصُّرعَة ، إنَّما الشَّديد الَّذِى يَملِكُ نَفْسه عِنْدَ الغَضَب » .

٦ ـ خمس لا يعلمها إلا الله

« يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِى وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ (٣٣) إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير (٣٤) . »

(سورة لقمان)

شرح التعابير والكلمات

اتقوا ربكم : امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه .

فلا تغرنكم : فلا تغشنكم .

الأرحام : جمع رَحِم ، مكان الجنين من بطن أمه .

توضيح المعنى

تَقْوى الله : عِبارةٌ عن انْقيادِ النَّفس المُؤمِنَة لِأَوامِرِ الله واجْتِنَابِها لِنواهِيه . ولولَا خَشْيةُ الله ، لَمضَى الإنْسانُ فى شُرُوره ، ولانْكَبَّ

فى لذائذه لا فَرْقَ بَيْنَه وبيْن الحيوان الأعْجَم . ومن فوائدِ تقْوى الله :

(١) أنَّها تَهبُ الشَّخص المُستَمْسك بها طُمَأْنينة فى النَّفس ، وهُدُوءًا فى القَلْب .

(٢) وتَجْعَلُ منْه رَجُلًا شُجَاعًا ، يُبْدى رأْيه فى صَرَاحةٍ تَامَّة ، ويَرْفضُ مِنَ الأعمال ما يُخالِف ما جَاء به الدِّين . قَال تعالى فى سُورة المائدة :

« يُجَاهِدُون فى سَبيل الله ولَا يَخافُون لَوْمةَ لَائِم » .

وفى هذه الآيات يُخاطِبُنا ربُّنا ، ويأمرُنا بتقْواه والخوْف مما يَحدُثُ يوم القِيَامة ؛ فكُلُّ إنْسانٍ يُحاسَبُ بمَا عَمِل . ويذكرنا أيضاً بأنَّ من وَاجِبنا أن لَا نَغْتَرَّ بأمرِ هَـذِه الحَياة الدُّنيا ، فلا نَتَّبع هَوى النَّفْس والشَّيطان ؛ بل عَلَينا أن نُخَالِفَ هَواهُما ، ونَعْمَل بمَا أمرَ به رَبُّنا ، حتى نَنَالَ رِضَاه عنا ، ومغفرته لذنوبنا ، فنكون بذلكَ من الذين أنعَمَ الله عَليْهِم ، ورَضِيَ عَنْهم . وليْسَ للإنسَان شَفِيعٌ فى ذلك اليوم إلَّا مَا قَدَّم مِن عَملٍ ، فالوَالدُ مُحاسَبٌ على مَا اقترف لا تَنفعُه شَفَاعةُ وَلدِه عَنْه ، والولَد نفسُه مَجزِىٌّ بِمَا صَنع لَا تدفَعُ عنْه شَفَاعةُ أبيهِ شَيْئًا ، ولا دَخل للعَلَاقَاتِ فى ذلك اليوم ، كما جَاء فى سُورة المَعارجِ عَنْ موقفِ النَّاسِ مِن أقْربائِهم : « ولا يَسْألُ حَمِيمٌ حَمِيماً . يُبَصَّرُونَهُمْ يودُّ المُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذابِ يَوْمئِذٍ بِبَنِيه . وَصَاحِبَتِه وأخيه . وفَصِيلَته التى تُؤْوِيه . ومَنْ فِى الأرْض جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيه » .

وفى سُورة عَبَس : « فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّة . يَوْم يَفِرُّ المَرْء مِن أَخِيه . وأمه وأبِيه . وَصاحِبَته وبَنِيه . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يومئِذٍ شأنٌ يُغْنِيه » .

خَمْسٌ لَا يَعْلَمُها إلاَّ الله :

قَدِم علَى النَّبى صلَّى الله عليه وسلم : رَجُلٌ مِنَ البَادِية ، اسمُه : الوارثُ بن عمرو ، فأخبر النبىَّ أن امرأته حُبْلَى ، وأن بلادَه مُجْدِبَة ، ويودُّ أنْ يَعْرِفَ مِن النَّبى عليه السلام :

(١) ماذا تَلِدُ امرأتهُ ؟

(٢) وَمَتى يَنْزل الغَيْثُ ببلاده ؟

(٣) وَمَتى يَمُوت ؟ وقد عَرفَ مَتى وُلِدَ ؟

(٤) وماذَا يَعْمَلُ غداً ؟ بَعْد أن أدركَ مَا عَمِلَ اليَوْم .

(٥) وَمَتى تَقُوم السَّاعة ؟

فأنزلَ الله : « إن الله عِنْدَه عِلْم السَّاعة . . . » مُخْبِراً أن هَذه الأمُور الخمسة لا يَعْلَمها أحدٌ مِن خَلقه ، لاَ مَلَكٌ ولاَ نَبِىٌّ ولا ولىٌّ :

أولها : عِلْم السَّاعة : والسَّاعة هِى الوقْتُ الَّذى حدّده الله لمُحاسبة الناس . هى يوم القيامة لا يعلَمُه غيره ، قال تعالى : « يسألونك[1] عن السَّاعة

---

(١) سورة النازعات .

أَيَّانَ مُرساها ، فيمَ أنتَ من ذِكراها ، إلى ربِّكَ مُنتَهاها ، إنَّما أنْتَ مُنذِرُ مَنْ يخشَاها . كأنَّهم يَوْم يرونها لم يَلْبَثُوا إلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها » .

ثانيها : إنزَالُ المَطَر : والمَطَر هُو المَاء الَّذى يَنْهمِرُ مِنَ السَّحاب الَّذى يَتكوَّنُ مِن البُخـــار . فتصيِّره بُرودَةُ الجَوِّ كثيفاً ، ثم تسُوقه الرِّياح هنا وهناك ، فيُغِيثُ اللهُ به أهلَ الأرض ، فَتُسْقَى الحيواناتُ ، وتُخْرِج الأرضُ ألواناً من الثَّمرات . ولا يَنزِلُ الغَيْث إلَّا بِقُدرة الله ، ولا يَعْلَمَ أحدٌ مَتى ينزلُ ؟ ولا فى أىِّ بُقْعَة يسقط ؟

ثالثُها : عِلْمُ مَا فِى الأَرْحَام :

والرَّحم : هوَ مكَانُ اسْـتِقْرارِ الجَنِين مِن بَطْنِ أمِّه ، يَخْتلِفُ باخْتِلَاف الـكَائِنات الحيَّة ، فَهُو البَيْضَةُ بالنسبة للطَّير ، والحَبَّةُ بالنسبة للنبات ، والرَّحم بالنِّسبة للحَيوان . والله وحْدَه هو الَّذى يَعْلَمُ مَا فِى الأرحام وَغَيْرها مِن الأجِنَّةِ لَا يُشارِكُه فِى ذَلِك أحدٌ ، فَهُو وَحْدَه الَّذِى يَعلَم إذا كَان الجَنِينُ ذكراً أَمْ أنثى ! !

رابِعُها : مَعْرِفَةُ المُستَقبل :

يَجْهلُ الإنْسَانُ جَهْلًا تَامّا مَا يَقَعُ عَلَيْه ، أوْ مَا يَحْدُثُ لَه فِى المُسْتَقبل . يَسْتَوِى فِى هَذا الجَهْلِ جَمِيعُ النَّاس ، الذَّكىُّ مِنهم والغَبِىُّ ، والفَقِيهُ وغَيْر الفَقِيه ، وضَارِبُ الوَدْع وصاحِب الرَّمل ، وَمَنْ لَه عِلْمٌ بالنُّجوم ومواقعها . ومن العَبَث أن يتقدَّم إنْسانٌ لِوَاحِدٍ مِنْ هَؤلَاء

لِيَعْرِفَ ما كَتَبَتْ له الأقْدارُ : مِن شقاوة وسَعادة ، أو فَقْرٍ وغِنًى ! ولَو كانَ واحِدٌ مِنْ هَؤلاء يعْلَمُ شَيئاً لَكانَ الأنْبِياء أولَى الناس بهذه المَعْرِفة ! والوَاقع أنَّ الله هُوَ وَحْدَه الَّذى اخْتص بِعلْم ذلك ؟

خامسُها : مَكَانُ المَوْت :

قد يُولَد الشَّخص فى السُّودان ، وتكونُ نِهايتُه فى قُطْر آخر ، فى الحِجَاز أو فِى مِصْر مثلًا . . . إلخ . وَهذِه النِّهاية لَا يَسْتَطِيعُ أحدٌ أنْ يَعْرِفَها ، وَلَيْس مِنَ الخَيْر لَه مَعْرفتُها ، إذْ لَو عرَف أحدٌ مكانَ مَوته لشغلتْه هَذِه المَعْرِفَة عَنْ كَثِير من الوَاجِبَات .

هَذِه هِىَ الأمورُ الخَمْسة الَّتى استأثر الله بِعلْمها ، وأخفَاها عن الخَلَائق جَمِيعاً .

٧ – مِنْ صِفَاتِ الرَّسُول

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٣٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٣٩).»

(سورة التوبة)

شرح التعابير والمفردات

عَزِيزٌ عليه ما عَنِتُّمْ : شَدِيدٌ عَلَى نَفْسِه ما تُلَاقون من مكروه.

فَإِنْ تولَّوا : فإن أعرضُوا.

حَسْبِيَ الله : أعتَصِمُ بالله وَحْدَه، وَهُوَ مَلَاذِى وملجئى.

توضيح المعنى

آخِر القرآن نزولًا — كَمَا جَاء فى بَعْض الرِّوايات — هَاتَان الآيتان مِن سُورة بَراءة. وتَعْرض الآيةُ الأولى مِنْهُما بَعْضَ صِفاته صلَّى الله عَلَيْه وسلَّم، وَتَذْكُرُ هذه النِّعْمة الكُبْرى الَّتى منَحها الله لِلْعَربِ خَاصَّة وللنَّاس عامة: نِعْمة إرسَالِ الرَّسول مِن أَنْفُسهم، فلم يَتَّخذْه مِنَ المَلائكَة، ولا

مِن الجِنِّ ، لأنهما مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْتلفُ عَنِ البَشَر. إذْ لَوْ كَانَ مِن عَالم المَلَائِكة أو مِنْ عالمِ الجِنِّ لَصَعُب على النَّاس أن يَتلقَّوْا مِنْه أحكامَ الله ، وَلَما أمكَنَ أن يَلْجأ إليه النَّاسُ يُحادِثُونَه فى شُئُونهم الخاصَّة ، وَيسْتَعِينُون بهِ فِى حل مُشْكلَاتِهم .

وَرَد فِى سِيرته — صلَّى الله عليْه وسلَّم — أنه كَانَ يَخَافُ وَيرتَعِدُ ، ويتصبَّب جَبِينُه عَرقاً فى اليَوْم الشَّدِيد البَرْد ، كلَّما نَزَلَ عليه جِبْرِيل بالوَحْيِ . وهذا يَدُلُّ على أنَّ طَبيعَة البَشر لا تَحْتمِل طَبيعَة الملَائكة .

وجَاءَ فِى صَحِيح مُسلم عَنْ واثلة بنِ الأسقع قال : سَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليهِ وسلَّم يقول : « إنَّ الله اصْطَفَى كِنانَةَ مِنْ وَلَدِ إسْماعِيل ، واصْطَفَى قُرَيشاً مِن كِنَانَةَ واصْطَفَى مِنْ قُرَيش بَنِي هَاشم ، واصطفانى مِنْ بَنى هاشِم ، فأنا خِيَارٌ مِنْ خِيارٍ مِنْ خِيارٍ » .

ومن صِفاته عَلَيْه السَّلام :

(١) أنه أبٌ لِلمؤْمنين جَميعاً ، يألَمُ أشدَّ الأَلم إنْ أصابَهم ضَرَرٌ ، أو نزَلَتْ بهم كارِثَةٌ . ويَشُق عَلَيْه أن يُدخَلَ بعضُهم النَّار ، كما يَحْرِصُ أعظَمَ الحرْص على أن يَحُوزوا خَيْر الدُّنيا ونعيم الآخرة .

(٢) والنَّبى شَدِيد الرأفة والرَّحمة بالمؤمنين الصَّغير مِنْهم والكَبير ،

العَظِيم والحقِير . قال شوقى رحمه الله :

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان فى الدنيا هما الرحماء

أما الآية الثانية :

فإنَّ الله سُبْحانَه وتَعالَى يَذْكر لنبيِّه فِيها أنَّه إذا ما انْصرَف قومُه عَنْ قَبول دَعْوته ، وتولَّوا عن الاهتداء بِمَا جاءهم به — فإنَّ عليه أن يَسْتَعِين بِربِّه لِيُعينَه عليْهم ، ويَكْفِيَه أمرَهم ، فَهُو الرَّبُّ المعبُود إليه المَلْجأ ، وعليْه التَّوكل . وعَليْنَا نَحْنُ أن نَقْتدِيَ به — عليه السَّلام — فى ذلك .

(١) دعاء :

جاء فى نَوادِرِ الأصُول عَن بُرَيْدةَ قالَ : « قالَ رَسولُ الله — صلَّى الله عليْه وسلَّم : مَن قالَ عَشْر كَلِماتٍ عِنْد دُبُر كُلِّ صَلَاةٍ ، كَفاه الله مَا أهمه ، خمسٌ للدُّنيا وخَمْسٌ للآخرة :

حَسْبِيَ الله لِدِينى .

حَسْبِيَ الله لِدُنياى .

حَسْبِيَ الله لِما أهمَّنى .

حسْبِيَ الله لِمنْ بغَى علىَّ .

حَسْبِيَ الله لِمَن حَسدَنى .

حسْبِيَ اللهُ لِمن كادنى بسوء .

حسْبِيَ الله عِند مَسألة القَبْر

حسْبِيَ الله عِنْد المِيزان .

حسْبِيَ الله عِند الصِّراط .

حسْبِيَ الله لا إلهَ إلا هُوَ عَليْه تَوكَّلتُ وإليه أُنِيب »

٨ – تِجَارَةٌ رابِحَةٌ

« إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٠) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١١) . »

(سورة التوبة)

شرح التعابير والمفردات

إنّ الله اشْتَرَى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم : بَذَل المؤمنون أنفسَهم وأموالَهم فأثابَهم ربُّهم بالجنَّة .

فاسْتَبشِرُوا : فافْرحُوا

بَيْعَةُ العَقبة الثَّانية

فِى عَام ٦٢٢ مِيلَادية ، وقَبْل أن يُهاجِر الرسُولُ وصَحْبُه إلى المَدِينَة بِعَامٍ واحِد ، قَدِمَ كَثِيرٌ مِن أَهْل المَدِينة حَاجِّين البَيْت « الكَعْبة المُشَرفة » حَرسَهَا الله . وكانَ مِنْ بَيْن هَـذه الوُفود خَمْسةٌ وسبعُون رَجلًا وامرأتان . فاتصل النَّبى بِهِمْ سِرًّا وَوعَدهم أنْ يَلْقَاهُم عِنْد العَقَبة[1] .

وأقبل النبىُّ — يُرافقه عمه العبَّاسُ بنُ عَبْد المطَّلِب — فى جَوْف اللَّيل إلى المكان الَّذى وَعَدهُم فِيه . وأشارَ عَليْهم العبَّاس أَن يَتكلَّم مِنْهُم وَاحِد ، ولا يُطيلَ الكَلَام ، فإنَّ لِلمشركين عَليْهم عَيْنًا تُرَاقبُهم ، وإنْ يَعلَمُوا بِهم يَفْضَحُوا أمرَهم . وتكلَّم أولَ مَنْ تكلَّم مِن هَذا الوفد عبدُ الله بنُ رَواحة[2] — فقال للرَّسول :« اشترط لِرَبك ولنَفْسك » . فقالَ النَّبى : « أَشْتَرِطُ لِربِّى أن تَعبدُوه ولا تُشْرِكُوا بِه شَيئًا ، وأَشْتَرِطُ لِنَفْسِى أن تَمْنعُونِى مِمَّا تَمْنَعون مِنْه أنفُسَكم وأموالَكم » . قال : « فإذَا فَعلْنا ذَلِك . فما لنا ؟ » قال : « الجَنَّةُ » . قال عَبْدُ الله : « رَبِحَ البَيْع ، لَا نَقِيل ولا نَسْتقِيل » ! !

---

(١) العقبة : موضع قريب من مكة .

(٢) كما جاء فى بعض الروايات .

فنزلت الآية : « إنَّ الله اشترى مِنَ المُؤمِنينَ أَنفُسَهُم وأموالَهم . . . »

والآية تأمُرُ المُؤمنين جميعاً أن يَبْذُلُوا أنفسَهُم ، وأموالَهم من أجلِ الدِّفاعِ عن الإسلامِ ، والجهادِ فى سبيل الله . وقد وَعدَ اللهُ الذين يُضَحُّون بأموالِهم وأنفسِهم فى سبيله أن يُعْلِيَ مِنْ شأنِهم ، ويُجْزِل لهُمُ الثوابَ فَيُدخِلهم الجنةَ التى أعدَّها لَهُم . وذِكْرُ هذا الوعدِ فى كلٍّ من الإنجيلِ والتوراةِ والقرآنِ دليلٌ على أن الجهادَ من أرفعِ العِباداتِ شأناً ، وأجلِّها مكانةً ، لا فَرْقَ فى ذلك بينَ القاتِلِ والمَقْتُولِ ، كما صوَّرت الآية الكريمةُ حال المؤمنين المجاهدين : « يُقاتِلون فى سبيلِ الله ، فَيَقْتُلُون ويُقْتَلُونَ » كُلُّهم فى الأجرِ والمَثُوبةِ سواء . وليسَ أحدٌ أوفى بِعهدِهِ من الله ! ! لأنه لا يَرْجِعُ عن وعده ، ولا يَنقُضُ عهده ، فهنيئاً لِمَن يُقاتلُ بِنفسِهِ ، ويجودُ بماله فى سبيلِ إعلاء كلمةِ اللهِ .

هذه هى المبايعةُ التى امتدح اللهُ بها المُبَايِعينَ ، وذلِك جزاؤهم كما صوَّرتْه الآية .

أما الآيةُ الثانيةُ فقد ساقت تِسعةَ أوصافٍ لِلْمُؤمنينَ الذين أخلصوا الأعمالَ لله ، وباعُوا أنفُسَهم وأموالَهم بِجَنَّةٍ عَرْضُها السمواتُ والأرضُ :

(١) التائِبُونَ : الراجِعون عن كُلِّ ما فيه تَقْصِيرٌ إلى ما دَعا إليه اللهُ سُبحانهُ وتعالى مِن أعمال البِرِّ والخير .

(٢) العابِدُون : المُداوِمُون على عِبادَتِه لا يُشرِكون معهُ غَيْرَه .

(٣) الحامِدُون : الذين يَحْمَدُون اللهَ فى كُلِّ حالٍ ، رُوِىَ عن السيدةِ عائشةَ رضى اللهُ عنها . قالت : كان النبى (ص) إذا أصابهُ من الأمرِ ما يَسُرُّه قال : « الحمدُ لله الذى بِنِعْمَتِه تَتِمُّ الصالحاتُ » ، وإذا أتاه من الأمر ما يكرهُهُ قال : « الحمدُ لِلهِ على كُلِّ حالٍ » .

(٤) السائِحون : المرتحِلون فى جهات الأرض طلباً لِلعِلم ، أو تَعَلُّم الصناعاتِ ، أو من أجلِ الدرسِ والتعرُّفِ لأحوال الأمَمِ لِلعِبْرَة والتبصُّرِ . أو « السائحون » الصَّائمون .

(٥) ، (٦) : الراكعون ، الساجدون : المُحَافِظُون على صلواتهم .

(٧) ، (٨) : الآمرون بالمَعْرُوف والنَّاهُون عنِ المُنْكَرِ : الدَّاعُون لأعمال الخير ، والنَّاهُونَ عَنْ كُلِّ ما يُخالِفُ أوامِرَ الشَّرْع .

(٩) الحافِظُون لِحُدُود الله : المُقِيمُون لِشرائعِ الله مع المُحافَظَةِ عليها فى أنفُسهم وفيمن يتولَّون أمره من الرَّعايا والأبْناء . هذه هِىَ الأوصافُ الحَمِيدةُ التى وصَفَ الله بها عبادَه المُخْلِصين ، ثم بَشَّرهم بالفوزِ والفلاح فى الدنيا والآخرة .

قال ابنُ الوَرْدِى فى لاميَّته المَشْهُورة فى التهذيب :

واتَّقِ اللهَ فَتقْـــوَى اللهِ مَا جاوَرتْ قَلْبَ امرِئٍ إلَّا وصَل
لَيسَ مَنْ يَقْطع طُرْقًا بَطــلًا إنَّما مَنْ يَتَّقِى اللهَ البَطـــل

من الأخلاق الإسلامية

لأمير الشعراء أحمد شوقى

المُلكُ والدُّولاتُ ما بَينِي القَنا والعلمُ لا ما تَرْفعُ الأحلامُ
والحقُّ ليس وإن علا بِمُؤيَّد حتى يحوط جانِبَيه حُسامُ
خَطَّ النَّبىُّ بِرَاحَتَيهِ خَنْدقًا ومَشَى يُحيطُ به قنًا وسِهَام
يا معشر الإسلام فى أسْطُولكم عِزٌّ لكم ووقايَةٌ وسَلَام
سَيْلُ المَمالك جَارِفٌ من شِدَّةٍ وقُوًى وأنتم فى الطريق نِيام
حُبُّ السِّيادَةِ مِن شمائِل دِينكم والجِدُّ رُوحٌ منه والإقْدَام
والعِلْمُ مِن آياتِه الكُبْرَى إذا رَجَعَتْ إلى آياته الأقوَام
لَوْ تُقْرِئون صِغاركم تاريخَه عَرَف البَنُونَ المجْدَ كيف يُرام

٩ ـ سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا !

«وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩) الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠) وَالَّذِى نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) وَالَّذِى خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤) .»

(سورة الزخرف)

شرح التعابير والمفردات

جَعَل لكم الأرض مَهْداً : جعلها لكم مُمهَّدة ، كأنها فِراش الطِّفل.

سُبُلا : طُرُقا

فأنشرْنا : فأحْيينا .

مُقْرِنين : مُسْتطِيعين وقادِرين على خَلْقِ مِثله .

توضيح المعنى

نَسْتدِلُّ بالصَّنعة على صانِعها الذى أوجَدها بَعْد أن لم تَكن . والاستدلال بالصَّنعة على الصانِع أَمْرٌ يُؤمِن به كُلُّ مُفكِّر وعاقل ، ولا يُنكِرُه إلا مُكابِرٌ أو جاهل . وهذه الآيات تَسُوقُ لنا اعترافَ أُولئك المُعانِدين من رِجال مكة ، حِينما يُلقى إليهم هذا السُّؤال : من خَلَق السَّموات والأرضَ ؟ والإجابة صريحةٌ وواضحةٌ كُلَّ الوضوح : خَلَقهُنَّ العَزِيزُ العَلِيم! فالخالِقُ هُوَ الله جل جلاله ، « لأن هذا النظام المُحيِّر للعُقول ، الذى نُشاهِدُه فى حركاتِ الأجْرام السماوية : الشمس والقمر والنُّجوم ، لايمكن أن يكونَ قد حدث بِمُجَرد الصُّدفة . . . لأن كُلَّ شىْء فى هذا الوجود خاضعٌ لِنظامٍ دَقيق ، وقَوانينَ مُعيَّنة أوجدتْها إرادة عَجيبة ، وقُدْرة بالغة».

عَالَمُ السَّمَاء

والسَّماء عَالَمٌ مَلِيء بالحَياة والحَركَة ، هُوَ هـذا الكَوْن الذى فَوْقَ رءوسنا ، تَدُورُ فيه الكَواكِبُ السَّيارة التى أَقْسم الله بها فى سورة التكْوير : « فَلا أُقْسِمُ بالخُنَّس ، الجَوارِى الكُنَّس . . . » وقَدْ بناها الله بِناء مُحْكماً ، ورفعها مِنْ غَيْر عَمد وجعلها تزين عالمها الذى تَدُورُ فيه ، مُرتبطةً ، مُتَماسِكَةً بَعْضُها إلى بَعْض ، كما تَرْتَبِطُ أَجْزاء الشَّجرة الواحِدةِ . وطَبقاتُ السماء سَبْعٌ كما ورد فى سُورة المُلْك . قال تعالى : « الذى خَلَقَ سَبْعَ سموات طِباقاً ما تَرى فى خَلْقِ الرحمن مِنْ تَفاوتٍ فارجع البَصَرَ هَلْ ترى من فُطُور ثم ارْجع البَصر كَرَّتَيْن يَنْقَلِبْ إليك البصرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِير » .

عَالَمُ الْأَرْض

أما عَالَم الأرض فَهُو عَالَمنا الذى نَعِيشُ فيه . والأرض هى هذا الكوكب الذى انفصل[1] من السماء ، وبسَطه البَارئُ بقُدْرته ، وأودَع فيه الأرزاق والنَّبات ، وبثَّ فيه مِنْ كُلِّ دابةٍ أشكالاً وأنواعاً ، وجعلَ فِيها الجبالَ أوتادًا ، وشَقَّ فيها سُبُلاً فِجاجًا ، وأَجرى فيها الأنْهارَ

(١) جاء فى سورة الأنبياء :- « أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما » .

والبِحارَ ، وفجَّر فيها العُيُون من الأحْجَار . تَفْجِيرًا يَدلُّ على وَحْدانيَّته ، وعَظِيم قُدْرته .

« وهو الذى مد الأرضَ وجعَل فِيها رواسِيَ وأنهارًا ومن كُلِّ الثَّمرات جَعل فِيها زَوْجَيْن اثنين يُغْشِى الليل النهار إن فى ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يتفكرون[1] » .

المَاءُ

وَمِنْ دَلائل قُدرة الله أنه أنزل المَاء من السَّحاب الذى يُحْيِى الأرض بعد مَوْتِها ، ويُعيدُ إليْها شَبابَها وبَهْجتَها بَعْد ما كَانَتْ مُجْدِبَةً قَاحِلة أشْبَه مَا تَكُون بالجُثَّة الهَامِدة .

اعترافُ أهل مكة . . .

واعترافُ أهْلِ مَكَّة بأنَّ خَالِقَ السَّمواتِ والأرض هو الله سُبْحانه — يَدُلُّ على أنَّ ذلك أمرٌ تَهْتدِى إليه النُّفوسُ بِدَافع فِطْرتِها ، ولكنها تَحِيدُ عَنه تَقْلِيدًا ومُحَاكَاةً . ومُنذُ أن أَخذَ الله ذُرِّياتِ بنى آدمَ مِن ظُهُورهم أشْهدهُم على أنّه الخَالِق ، فاعْترفوا له بذلك . جَاء فى سُورة الأعراف (الآية ١٧١) : « وإذ أخَذَ ربُّك مِنْ بَنِي آدم مِنْ ظُهُورِهم ذُرِّيتَهم وأشْهدَهم على أنفُسِهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ؟ قالُوا : بَلَى شَهِدْنا أن تَقُولُوا يوم القيامة إنَّا كُنَّا عن هَذا غَافِلين » .

---

(١) سورة الرعد .

فالاعتراف بوُجُود الخَالِقِ طبعت عليه النفوس ، وجُبلَتْ عليه القلوب . وهذه دَلاَئلُ وَحْدانية الله ووجوده وبَراهين قُدرته وَجَبَرُوته ، تَنْطِقُ بها الأكوان ، أفلا يكونُ من الانحراف البغِيض أن يُشْرك النَّاس مَعَ خَالقهم مَعْبُودًا غَيْرَه ؟! كما قال مُشركو مكة دِفَاعاً عَن عِبادَة الأصنام : « ما نَعْبُدُهم إلا لِيُقرِّبونا إلى الله زُلْفى[1] » . . .

إنه — ولا شكَّ — ضَلَالٌ ما بَعْده ضَلَال ! !

كذلك تُخْرجون ! !

وكما خلق الله هذه المَظاهرَ الكونيَّة فى العَالَمين : عَالَمِ السماء وعَالَمِ الأرض — يتمُّ بعثُكم مِنَ القُبور يَوْم القِيامة ، فَيُحَاسِبكم ربكُم حِسَابًا دَقِيقاً ؛ وليس أمرُ البَعْث بأَصْعبَ من بَدْء الخَلْقِ ، ذَلك أَنَّ الَّذى قَدَر عَلى خَلْق الكَائِنات ، لا يعْجِزُه أن يَعيدَها إلى الحَياة مرةً أُخْرى .

ومِن مَظَاهِر هَذِهِ القُدْرة البَاهرة . أنه سُبْحَانه وتعالى خلقَ الإنْسَان والحيوان والطير والنَّبات أزواجاً : ذُكُوراً وإناثاً ؛ ولا يُمكن أنْ يكونَ وُجُود الأُنثى بِجَانبِ الذَّكر بِفعل المُصَادفة ، بَلْ لاَ بُدَّ أن يكونَ خَلقُهما مَنسوباً إلى صَانع قَدِير عالم بكلِّ شىء :

قال بعض العلماء : « إن وجود الكائِنات كُلِّها مِن ذَكَر وأُنثى

---

(١) سورة الزمر آية رقم (٣) .

يَدُلُّ على أن فى الوُجود خَالِقاً مُرِيدًا أبدعَ هذه المَخلُوقاتِ ، وجعل لكلِّ نَوع مِنْها صِفات وطبائع تُميِّزه عَنْ غَيره[1] » .

من نعم الله :

ومن عَظيم نِعَم الله على عِباده أنْ سخَّر لَهُم هَذه الحَيوانَات وأباحَ لَهُمْ لُحُومَها وألبانَها يَنْتفعُون بها كالإبل والبقر والضَّأْن والمَعز ، وجعلها وَسيلةً لأسفارهم يَنْتقِلون عليها من بَلْدة إلى أخرى ، فَتُسَهِّل عليهم كثيراً من مَشاقِّ الحَياة .

وكذلك سَخّر الله للإنسانِ الفُلك التى تَجْرى فى البِحَار ، وهَدَاه بعقله إلى اخْتراع الطائرة والقطار والسيارة وكُلِّ ما أنتَجه عَقْل البَشَر من قنابل ذَرِّية وهَيْدرُوجِينية وصواريخ — كل ذلك يَدُلُّ على عِنَاية اللهِ بالإنْسان وعلى عظيم نعْمته . . .

« وآتاكُم مِن كُلِّ ما سَألتُمُوه وإن تَعُدُّوا نِعْمَةَ الله لا تُحْصُوها إنَّ الإنْسَان لظَلُوم كَفار »[2] ، والإنسانُ ظَالِم لنفسه ، ولهذا المجْتَمع الذى يعيش فيه باستخدامه هذه المخترعات فى التدمير والهلاك ! !

---

(١) روح الدين الإسلامى .

(٢) سورة إبراهيم .

هَدْى النَّبى فى السفر

قال عَبْدُ الله بنُ عُمر : كانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اسْتَوى على بعيره مُسافرًا قال : « الله أكبَر ، الله أكبَر ، الله أكبَر . سُبحان الذى سخَّرَ لنا هذا وما كنا له مُقْرِنين . وإنَّا إلى رَبِّنا لَمُنقَلِبُون . اللَّهم إنا نَسْألك فى سَفَرِنا هذا البِرَّ والتقوى ، ومن العملِ مَا تَرْضَى . اللَّهُم هوِّن علَيْنا سفَرنا هذا . واطوِ عنَّا بُعْدَه ؛ اللَّهم أنت الصاحِبُ فى السَّفر ، والخليفةُ فى الأهل . اللَّهم إنِّى أعوذُ بك من وعثاء السَّفر ، وكآبة[1] المَنْظَرِ ، وسُوء المُنقَلب فى المَال والأَهلِ والولد ، وإذا رجع قال : « آيبون تَائِبون عَابِدُون لربِّنا حَامدون »[2] .

---

(١) كآبة المنظر : تغير النفس وحزنها .

(٢) رواه مسلم .

صُنْعُ رَبِّي

هَذِهِ الدُّنْيا الجَمِيلَهْ بَيْنَ قَفْر وَخَمِيلَهْ
وَسَمٰوَات صَقِيلَهْ كُلُّها مِنْ صُنْعِ رَبِّي

النُّجُومُ الزَّاهِرَاتُ والبُدُورُ النَّيِّرَاتُ
والضُّحَى والظُّلُماتُ كُلُّها مِنْ صُنْعِ رَبِّي

جَمَّل الكَوْنَ بِبَحْرِ وَبِوَاد تَحْتَ نَهْر
وَبِأَشْجَارٍ وزَهْر كُلُّها مِنْ صُنْعِ رَبِّي

وَحَباهُ بِجِبَالِ كَاسِيَات بالجَلَال
مُشْرِقَاتٍ بالجَمالِ كُلُّها مِنْ صُنْعِ رَبِّي

قالَ لِلْإِنْسانِ قَلِّبْ طَبَقَ الأَرْضِ ونَقِّبْ
تُعْطِكَ الحَبَّ وتُخْصِبْ كُلُّ هٰذَا فَضْلُ رَبِّي

معانى الكلمات

وحباه : وخصه

نقِّب : ابحثْ وفتِّشْ

تعطك الحبَّ : تخرج لك أطيب الثمرات .

١٠ ـ السَّاعةُ آتِية

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوَاتِ وَلَا فِى الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِىَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِى آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ (٥) .»

(سورة سبأ)

شرح التعابير والمفردات

لا يَعْزُبُ	:	لا يَغِيبُ
مِثْقالُ ذَرَّة	:	وَزْنُ ذرة
سَعَوا فى آياتنا مُعَاجِزين	:	أرادُوا أن يُعْجِزُونا .

توضيح المعنى

يظنُّ المُشركون أنَّ قِيام السَّاعَةِ ضَرْبٌ من العَبَث وأنه يَسْتَحِيلُ على الله أن يَجْمع الخَلَائق مرةً أخرَى ، ويُحَاسِبَهم على أعمالهم يَوْم

القيامة . والقرآنُ فِى كثِير من آياته يُثبت أنَّ هذَا اليَوم آتٍ لا محَالة ، ويُقرِّر كَذلك أن إنكار البَشرِ لِهذَا دَلِيلٌ على قُصُور عُقُولِهم ، وعَدَمِ تبصُّرهم فى آيات الله فى الآفاقِ وفى أنفُسِهم .

ولشِدَّة تَعلُّق الكفارِ بِهذَا الوَهْم يَحسَبُون أن هذَا اليَوم بَعيدٌ ، ولكنه قَرِيب وقَرِيب . قال الله تعالى : « سأل سائلٌ بعَذاب واقع . للكافِرين ليس له دافع . من الله ذِى المَعارج . تَعرُج المَلائكة والرُّوح إلَيه فى يومٍ كَانَ مِقدارهُ خَمْسِين ألفَ سَنةٍ ، فاصبِرْ صبْراً جَمِيلًا . إنهُم يَرَوْنَه بَعِيداً ونراه قَرِيبا » . وآيات سُورة سَبأ التى نَعْرِضُها عليك — أيُّها التلميذ — تناقش إنكار الكفار لِهذَا اليَوْم . « قُل بلَى ورَبِّى لتأتينكم » : غير أنَّ مَوْعِد إتيانِها لا يَعلَمُهُ أحدٌ سِوَى عَلَّام الغُيوب ، الذى لا يَغِيبُ عَنْ عِلمِه وَزْنُ ذرَّةٍ فى السَّموات ولَا فِى الأرض ، وإذا كانَ كُلُّ صَغِيرٍ وكَبِير ، وكُلُّ جَلِيلٍ وحَقِير ، مُثْبتاً فى اللوْح يعلمُه الله بِتَفاصِيله ، فإن إنكاركم لإتيان الساعة ، مُجرَّد مُكابرة وعِنادٍ . ولتَعلَموا أنَّ السَّاعة آتِيَةٌ فيها يُحَاسَب النَّاس ، فَينال كُلٌّ مِن المؤمن والكافر جزاءه .

والَّذين آمنوا بِرسالة رَبِّهم الَّتى جاءهم بِهَا نبيُّهم مُحمد صلى الله عليه وسلم وامتثلوا الأوامر فإنَّ الله يغفرُ لَهم ما يَصْدُرُ عنهم من زلَّات لا يخلُو البَشر مِنها ؛ ولَهُم رِزق حسَنٌ فى جنات النعيم . والَّذين كفروا بِرسالة النَّبى ، وحَاولُوا أن يُبطِلُوا أدلَّتها ، وأن يُكذِّبوا القُرآن ،

وأن يَدْعوا النَّاس إلى الزُّهْد فيه ، يفعلون كُلَّ ذلك بغرض أن يُعْجِزُونا عن إدراكهم ، فَلَنْ يُغَيِّر ذلك من الواقع شَيئاً ، بل إنهم سَيُحاسَبُونَ أشدَّ الحِساب ، ويُعَاقَبُون على أفعالهم القَبيحة أفظَع عقاب .

قال تعالى : « يسألونك عن السَّاعة أيَّانَ مُرساها . فِيمَ أنتَ من ذِكراها . إلى ربِّك مُنْتهاها . إنما أنتَ مُنذِرُ مَنْ يَخْشاها . كأنهم يوْم يرونها لم يَلْبثُوا إلا عَشِيَّةً أو ضُحاها[1] » .

وتَتم مُحاسَبَةُ الإنسانِ على ما اقْتَرَف فى ذَلِك اليوم فالمُحْسِنُ يَلْقَى جَزاءَ إحسَانه ، والمُسيء ينالُ جَزاءَ إساءته . فَلا مَهْرَبَ ولا مَنْجَى لِأحد . والسُّعَداء المَحظُوظُون فى هذه اللَّحظة الدَّقيقة الحَرِجة هُمْ أولئك الَّذين آمنُوا ولم يَقِفُوا عِند حَدِّ الإيمانِ وَحْدَه . بل انتهجُوا لأنفسهم طَرِيق الأعمال الصالحة .

« يومئذ يَصْدُر النَّاسُ أشتاتاً لِيُرَوا أعمالَهم . فمن يَعْمَلْ مِثقال ذَرَّةٍ خَيْراً يرَه . ومَنْ يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يرَه[2] » .

---

(١) سورة النازعات .

(٢) سورة الزلزلة .

(٢)

من الهَـدْى النبوىّ

الحديث الأول

مَأْدُبَةُ اللهِ

قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّم :

« إِنَّ هٰذَا القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ ، فَاقْبَلُوا مِن مَأْدُبَته مَا اسْتَطَعْتُم . إِنَّ هٰذَا القُرْآنَ حَبْلُ اللهِ ، وَالنُّورُ المُبِين ، والشِّفَاءُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَجَاةٌ لِمَن اتَّبَعَه ، لَا يَزِيغُ فَيُستَعتَبَ ، وَلَا يَعْوجُّ فَيُقوَّم ، وَلَا يَخْلَق عَلَى كَثْرة الرَّد » .

معانى الكلمات

مأدبة : مَائِدة .

لا يَزِيغُ فَيُستعتَبَ : لا يميلُ عن الحقِّ فيُطلبَ منه الرُّجوع إليه .

يخلق : يَبْلى ، وتَذْهَب جِدَّتُه .

الشرح

للقرآنِ أعظم الأثر فى تهذيبِ النفُوس ، وتقويم الأخلاقِ ، وهو فى غايةِ الكمالِ ، ونهايةِ الجمالِ والجلالِ ، نزل به الروح الأمين « جبريل » على محمد صلى الله عليه وسلم فكان مُعجزتَه الخالدة على مرِّ الدُّهور . لغتُهُ عذبةٌ فخمة ، وأسلوبه جميلٌ فيَّاضٌ يأسِرُ أذهانَ المُستمعين ، بمعانيهِ الرَّائعة وسِحرِه العجيب ، حار فى وصفه العربُ ، فمنهم من قال : إنَّه شِعرٌ ، ومنهم من قال : إنه سِحْر ، ومنهم من سجد[1] لِبلاغته وفصاحتِه .

وفى هذا الحديث : يُشبِّهُ الرسولُ عليه السلام بالمائدة التى جَمَعَت صُنوف الطعامِ ، ينال مِنها القاصى والدَّانى ، فيجِدُ كُلَّ لذيذٍ ومُمْتِع ، فهو النُّور ، وهو الشِّفاء ، وهو العِصْمة ، وهو النَّجاة . لا يَضِلُّ من تمسك به ، ولا يمل من أكثرَ النظر فيه ، أو حاول التَّردُّد عليه .

قال أمير الشعراء عنه :

جَاءَ النبيون بالآيات فانْصَرَمَتْ ... وجئتنا بجديد غير مُنصرم

آياته كُلَمَا طال المدى جُدُدٌ ... يزِيدهنَّ جمالُ العِتْقِ والقِدمِ

---

(١) يقال إن أعرابياً سمع قوله تعالى : «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين» فسجد ، فلما سئل عن سبب ذلك قال : سجدت لبلاغته ، ما يقول هذا بشر .

وقال شاعر السودان السيد أحمد محمد صالح :

أَعْجَزَ الناس منه قولٌ رصينٌ وجمالُ الأداء والأُسلوبُ
هُو فى العالمين آيتك الكبرى وبُرْهانك القوىُّ المُصِيبُ

(١) رُوِىَ فى الحديث أن جُبَيْر بن مُطْعِم دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ليفتَدِىَ أسيراً كان صديقاً له وقع فى قبضةِ المسلمين ، وكان النبىُّ حينذاك يقرأ سُورةَ « الطُّور » ولما انْتَهى إلى قوله : « إنَّ عَذَابَ رَبِّك لَوَاقعٌ مالهُ مِنْ دافع » قال جُبير : خَشِيتُ أن يُدركَنى العذاب ؛ فأسلَمَ .

(٢) وروى أن الوَليد بنَ المُغيرة سَمِع من النبى (ص) قول الله تعالى : « إن الله يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاء ذِى القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والمُنكر والبَغْىِ يَعِظُكُم لعلَّكم تذكَّرون » . فقال : « واللهِ إنَّ له لحلاوةً ، وإنَّ عليه لَطُلاوَة ، وإنَّ أسْفَلَه لمُغْدِق ، وإنَّ أعلاه لمُثْمِر ، ما يقول هذا بشرٌ .

من معجزات القرآن العلمية

وفى القُرآن مُعْجِزاتٌ عِلْمِيّةٌ كثيرةٌ نَذْكُر مِنْها مَا جَاءَ عَنْ تكوينِ السَّحاب ، والعواملِ المُسبِّبة له . جَاءَ فى سُورة النُّور : « أَلَمْ تَر أَنَّ

اللهَ يُزْجِي[1] سَحاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَه[2] ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكاماً[3] ، فَتَرَى الوَدْقَ[4] يَخْرُجُ مِن خِلالِه وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِيها مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشاءُ يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصارِ . يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ » .

فالسَّحابُ يَتكوَّن مِن تَبخُّر الماء الذى يَحْدُثُ نَتِيجةً لأشعَّة الشَّمس الضَّاربة على البِحَار ، ويبْدُو مُتفرِّقًا فَيَجْمَعُ اللهُ بعضه بهذه الرِّياح ، وتتكثف السُّحب لِبُرودة الجوِّ ، فينهمِرُ الماء مطراً غزيرًا .

---

(١) يزجى : يسوق .
(٢) يؤلف بينه : يجمع بينه .
(٣) ركاماً : متراكماً بعضه فوق بعض .
(٤) الودق : المطر .

الحديث الثانى

الأُسْوة الحَسَنَة

عَن عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْه : « أَنه جَاءَ إِلَى الْحَجَرِ الْأَسْوَد فَقَبَّلَه ، فَقَال: إِنِّى أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَع ، ولَوْلَا أَنِّى رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ (ص) يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلتُكَ[1] ».

الشرح

عرفْت من دِراساتك الإسلامية الماضية ، أَنّ الحجَّ ركنٌ من أركانِ الإسْلام الخمسة ، وقد فُرِض فى السنة السَّادسة بَعْد الهجرة . قال تعالى : « إنّ أَولَ بَيْت وُضِع للنَّاس للَّذى ببَكَّةَ مبارَكًا ، وهُدًى للعَالَمين ، فيهِ آياتٌ بيِّناتٌ مَقَامُ إبراهيمَ ، ومَنْ دَخَلَه كانَ آمِناً ، ولله على النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَن اسْتطاعَ إليهِ سبيلاً » ، تعرف من هاتَيْن الآيتين مكانَ البيت ووُجُوبَ الحج إليه ، وقد بَيَّن الرسولُ عليه السَّلام أنه واجِبٌ فى العُمْر مرةً واحدةً .

---

(١) يلاحظ أن هذا الحديث رواية لعمل الرسول فقط .

الطَّوافُ كالصَّلاة :

وَضَعتِ الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ للحَجِّ أركاناً وفرائضَ ، وجعلَتْ من أركان الحج الطَّوافَ واشترطَتْ فيه ما يُشْتَرطُ فى الصَّلاة ، من الطهارةِ ، وسَتْرِ العَوْرة ، ولكنها أباحَت الكلامَ فيه كما جاء فى الحديث « الطوافُ صلاةٌ إلا أن اللهَ تعالى أحلَّ فيه الكلامَ ، فمَنْ تكلَّم فلا يتكلَّم إلا بخيرٍ » ، ومِنْ شُروطِ الطوافِ أيضاً أن يكونَ سبعةَ أشْوَاطٍ ، وأن يَبْدَأَ مِنَ الحجَر الأسود .

القُدْوة الصَّالِحَة :

لقد عَرَفْت ما فعله عُمرُ رضى الله عنه فى طوافه حِين قَبَّل الحجرَ الأسود اقتداءً برسُولِ الله صلى الله عليه وسلم مِنْ غَيرِ أن يَسْعَى وراءَ الأسباب الَّتى أوجَبتْ ذلك الإكرام ، وهذا التَّعظيمَ لذلك الحَجَر ، وهو يَعلَمُ أنه لا يَنْفَعُ ولَا يَضُر كجَميع المخلوقات ، ولكنه رأى الرسولَ صلى الله عليه وسلم يُقَبِّلهُ فقبَّله اقتداءً به وسعياً وراء الهَدْيِ القُرآنى : « لقد كان لَكم فى رَسُولِ الله أُسوةٌ حَسَنةٌ » .

ما يستفاد من الحديث

(١) شِدَّةُ حِرص عمر رضى الله عنه علَى الاقْتِداء بالنبى صلى الله عليه وسلم فِيمَا يَعمل ، سواءٌ ظَهَرَ له السَّبب أم لم يَظْهر .

(٢) يجب على المسلم أن يؤدّىَ كلَّ ما ثبَتَ عَنْ طَرِيق الكِتاب أو السُّنة ، وإن لم تَظْهَرْ له الأسباب والعِلَل فى أدائه ، ثِقَةً منه بأن الشَّرع حكيم لا يأمر إلَّا بِمَا فِيه صَلَاحُ الفرْد والمجموعة فى المعَاش والمَعاد .

الحديث الثالث

الحَلْف الْفَاجِر

قال النبي (ص) : من حَلَفَ على يمين يَقتَطِعُ بها مالَ امرئ مُسلمٍ هو فيها فاجرٌ[1] لَقِيَ الله وهو عليه غضبانُ .

الشرح

الناس بحكم اختلاطهم ، واشتباك مصالحهم يحتاجون إلى بعض : التاجرُ يحتاج إلى التاجر ، والعاملُ يحتاج إلى العامل ، والتلميذُ يحتاج إلى التلميذِ ، ليعينه على ما تعسَّر عليه من أمور دنياه ، وكذلك جميعُ الطبقات من أهل الحرفِ والصناعات فى المدائن والقرى .

الناسُ للناسِ من بَدْوٍ وحاضرةٍ بعضٌ لبعضٍ وإن لم يَشعُروا خدمُ

فإذا دعتِ الحاجة بعض الأفرادِ إلى أن يستلف من أخيه مبلغاً قليلا أو كثيراً ليقضِي به بعض أوطارِه ثم يرده إليه ، ولم يكن بينهما شاهدٌ أو رِهان مقبوضة أو كتابة « مستند » فالخُلُقُ المهذبُ ، والتربية الراقية ، والضمير اليقظ ، كل ذلك يستلزمُ أن يفيَ المدينُ بوعده ، ويعطيَ صاحبَ

---

(١) فاجر : كاذب .

الدين حقه من غير مطل إذا كان غنيًّا ، أو نكران إذا كان معسراً ، ولكن ربما استبد الشُّح بمرضى النفوس ودعاهم إلى النكران حيث لا شاهدَ ولا رهنَ ، ولا كتابةَ ، بل ربما يتجاوزون النكران إلى القَسَم بالله كذباً إذا ما رفع الدائنُ أمْرَه إلى القاضى ، وطلب منه إثبات حقه وعجز لعدم وجود البينة لديه ، ولم يبق أمام القاضى إلا أن يوجه إلى المنكر اليمين — إذ البينة على من ادعى ، واليمين على من أنكر — فحلف بالله كاذباً ليتخلص من الحق الذى عليه ؛ أو كان المدينُ أفصحَ لساناً من الدائن وأقْوَى حجة منه ؛ أو كان المحامى الذى وكّله أكثرَ علماً ، وأعظم تأثيراً من محامى خصمه ، فظن القاضى أن الحقَّ معه فحكَم له على خصمه ، والمدين يدرك تماماً أن الحقيقة خلاف الحكم ، لذلك فلا يجوز له أن يقتطع مالَ دائنِه بناء على اليمين الفاجرة ، أو الحجة البالغة ، وهو يعلم علم اليقين أنه استدان من ذلك الخصم ما استعان به على قضاء حوائجه . مثل هـذا الشخص سيلقى اللهَ ، وهو عليه غضبانُ لأن حكم الحاكم لا يحلِّل حراماً ولا يحرِّم حلالا ، وإن ربح فى هذه الدنيا فهو فى الآخرة من الخاسرين ، كما أخبرنا الرسول عليه السلام فى هذا الحديث .

الحديث الرابع

عاقبة الإنفاق

قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : ما من يَومٍ يُصْبِحُ فيه العبادُ إلا ملَكَان يَنْزِلَانِ فيقُولُ أَحَدُهما : اللَّهم أَعطِ مُنْفِقًا خلَفًا ، ويقولُ الآخرُ : اللَّهم أَعْطِ مُمْسِكًا تَلفًا .

الشرح

الإسلامُ يدعُو للكَرم :

الإسلامُ يَدعو إلى البذْلِ والإنفاقِ ، ويمقتُ البُخْلَ والإمساكَ ، ويُحِبُّ أن تكونَ النفوسُ سَخِيَّةً ، والأكفُّ نَدِيةً . ويُحَبِّذُ المُسارعة إلى دَواعي الإحْسان وَوُجُوه البرِّ وتَقْدِيم الخير إلى النَّاسِ ، صَباحَ مساء ، سِرًّا وعلانِيَةً .

« الَّذين يُنفِقُون أموالَهم باللَّيل والنَّهار سرًّا وعلانِيَةً فلَهم أَجْرُهم عِنْد رَبِّهم ولَا خَوفٌ عَليْهم ولا هُمْ يَحْزَنون[1] » .

---

(١) سورة البقرة .

مِن وَاجِبات المُسلم :

من الواجِب على المُسْلم أن يَقْتصِدَ فى مَطَالبه الشَّخصية من غير تَقتير ، وأن يُشرك غيرَه فِيما آتاه الله مِنْ فَضْلِه ، وأن يَجْعل فى ثَرْوته حَقًّا للسَّائل والمحرُوم ؛ وفى الإسلام تشريعاتٌ كَثيرةٌ ترمى لِتحقيق الأهداف العَالية التى تُهيِّئ النُّفوسَ لِفعْل الخَير ، وإسداء العَوْن ، وصُنْع المعروف ، حَتَّى ليعزّ عَليْها أن تَرى شخصاً ممزَّق الثِّياب ، أو حَافىَ القدميْن ، أو جوْعان ، يُرسلُ عينيْه إلى صُنُوفِ الأطعمَة ، ثم يَرُدُّه الحِرمانُ وهو حَسِير .

صِنفان من الناس :

الصِّنفُ الأول : الذين يشاهدون مِثل هذه الصُّور المؤْلِمة ، ولا ينْفقون بِقدْر استطاعتهم لإنقاذِ ما يمكنُ إنقاذُه ، ويُمسكُون أموالَهم عَن مُواساة الفُقراء والمساكين ؛ أولئك يدعو الملَكُ عليهم بالتلف .

الصِّنف الثانى : الذين يتنافسون فى الخير ، ويَتَسابقون إلى افتتاح مَشروعاته النَّافِعة ، ولا يقعُدُ بهم الحِرص عن مُسَاعَدة العَجَزة والبؤساء ؛ أولئك يدعو الملَكُ لهم بالخَلَف . قال تعالى فى سورة سبأ : « وما أنفقتم من شَىْءٍ فَهُو يُخلِفهُ وهو خَيْرُ الرَّازقين » .

رحمةٌ وعظَة وتَنافسُ :

لقد حَدَث أن رأى الرَّسول صلى الله عليه وسلم جَماعةً من البُؤَساء

فَشقّ عليْه مرآهم فجمعَ المُسْلمين ثم خَطَبَهم فذكّرهم بحقّ الإنسان ، على الإنْسان ، وخوّفَهم بالله واليَوْم الآخر ، وما زَالَ بِهم حَتَّى جمَعوا ما أغْنَى وستَرَ .

عَنْ جَرِيرِ بنِ عبد الله رضى الله عنه قال : كنَّا فى صَدْر النَّهار[1] عند رسولِ الله ، فجاءه قومٌ عراةٌ ، مُجْتابى[2] النّمار ، عامَّتهُم من مُضَر ، فتَمعَّرَ[3] وجهُ رسول الله لِما رأى بِهم الفَاقَه ، فدخَلَ ثم خَرجَ فأمر بِلالاً فأذَّن وأقامَ فصلَّى ثم خطَب فقال :

« يأيها الناس اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذى خلقَكُم من نَفْسٍ واحِدَةٍ ، وخَلق مِنْها زَوجَها ، وبَثَّ مِنْهما رِجالًا كَثِيراً ونِسَاءً : واتقوا الله الذِى تَسَاءلون به والأرحامَ إن الله كَانَ عَليكُم رَقيباً » .

« يا أيها الذين آمنُوا اتَّقوا الله ولْتَنْظُرْ نَفسٌ مَا قَدَّمتْ لِغَدٍ » .

ثم قال : لِيتصدقْ رجلٌ مِن دِينارِه ، من دِرْهَمِه ، من ثَوْبه ، من صاعِ بُرِّه ، من صاع تَمرِه ، حتَّى قال : ولو بِشِقِّ تَمرَةٍ .

فجاءه رجُلٌ منَ الأنصارِ بِصُرَّةٍ كَادَت كَفُّه تَعجِزُ عَنْها ، بَلْ لَقَدْ عَجَزَت ، ثم تَتابَع النَّاسُ ، حَتَّى رأيتُ كَومَيْن من طَعامٍ وثيابٍ . . . وحتَّى رأيتُ وجهَ رسولِ الله يَتهلَّل كأنه مُذْهَبَة[4] ثم قال :

---

(١) صدر النهار : أول النهار .
(٢) مجتابى النمار : مشقوق الملابس .
(٣) تمعر وجهه : تغير وحزن .
(٤) كأنه مذهبة : صفحة مطلية بالذهب .

« مَنْ سَنَّ فى الإسْلام سُنَةً حَسَنَةً فله أَجرُها وأَجرُ مَنْ عَمِل بِهَا مِن بعدِه من غَير أن يَنقُصَ من أَجورهم شَيْء ، وَمَنْ سنَّ فى الإسلام سنَّةً سَيِّئةً كانَ عليه وِزرُها ووِزرُ مَن عَمِل بها من غَيْر أن يَنْقُصَ من أَوزارِهم شيء » .

ماذَا تَسْتَفِيدُ مِنْ هٰذِه القِصَّة ؟

(١) الدَّعوةُ إلى التَّنافُس فى فِعل الخَيْر ، والتَّسابق فى مَيدانِه ، وما إلَى ذَلِك من التقاليد الحسنة .

(٢) التحذِيرُ من سَنِّ التقاليد السَّيئة ، والعادَات القَبيحة حَتَّى لا يَنْجرِف فِيها بعضُ المُقلِّدين فَيقعُون فى شُرُورها ومتاعِبها .

الحديث الخامس

لك من مالك ثلاث

قال النبي (ص) :

يقول الْعَبْدُ مَالِي مَالِي، وإِنَّمَا لَهُ مِن مَالِه ثَلَاث: مَا أَكَل فَأَفْنى ، أَو لَبِسَ فَأَبْلَى ، أَوأَعْطَى فَاقْتَنى ، ومَا سِوى ذَلك فَهُو ذَاهِبٌ وَتَاركُه للنَّاس .

الشَّرح

حُبُّ التَّملك من الغَرائز الإنْسانية الَّتى لَا يُمكِنُ الهُرُوبُ مِنْها والتَّخلِّى عنها بِحَالٍ من الأحوالِ ، وأهمُّ ما يَتميَّز به التَّشريعُ الإسلامى هو أخذُه للكائن البشَرِىِّ علَى ما هو عليه من فِطْرة ، فَلَا يُحاولُ قَسْرَه علَى مَا لَيْس من طَبْعِه كما تفْعلُ بَعْضُ النظريات الحديثة « فِطْرةَ الله التى فَطَرَ النَّاسَ عليها » ، ولكنه يَعْمِدُ إلى تَهْذِيب الغَرائِز ، والسُّموِّ بها إلى أبعدِ حدٍّ مُمكِنٍ ، دُونَ أن يَكْبتَها .

مالى مالى :

هذا هو نِدَاء الغَريزة ، وعليه يُقرِّر الإسْلَامُ حَقَّ المِلكية الفرديَّة

للمال ، وهو التصرُّف فيه والانتفاع به بالطرق المشروعة ، فإذا تجاوَزها كَانَ لولى السفيه أو الجماعة أن يَحْجِزوا عليه ، لأنه إنْ بدَّد أمواله وصارَ فَقِيراً كانَ خَطَراً على المُجْتمع ، قال تعالى : « ولا تؤتُوا السُّفهاء أموالَكم التى جَعل الله لكم قِياماً وارزقوهم منها واكسُوهم وقُولوا لَهم قَوْلاً معروفا » .

والسُّفهاء هم المُسْرفون المبذِّرون أموالَهم فى غَير الوُجوه المعقولة ، إما لِفَسادِ أخلاقِهم ، أو لسُوء تَدْبِيرِهم .

مالَكَ من مالِكَ :

ربما يفخر الغَنىُّ بمَاله ، ويتعاظمُ الثَّرىُّ على إخوانه ، ويَشمخُ الموسِرُ على بنى وطَنِه ، كما فعل قارونُ من قبل ، حَيْثُ كانَ لا يَهْتَم بما يُصيب قَوْمَه من ظلم فرعون ، ولا يفكِّر إلَّا فى نَفْسِه وتَحقيقِ أغراضِه . ولو فكَّر الغنىُّ قليلاً لعلِم أنه لو ملك الدُّنيا وما فِيها ، فليس له مِن هذا المُلْك الطَّويل العَرِيض إلا هذه الثلاث كما فى الحديث الشريف .

(١) ما أنفقه فى طعام فَفنِيَ . (٢) ما اشترى به ثوباً فَبلِيَ .

(٣) ما قَدَّمه من إحسان فَبقِيَ .

وما سوى هذه الثلاث فهو للنَّاس وليس لِمَالِكِه .

ما يستفادُ من الحديث

أنَّ ما يتصدَّقُ به الإنسانُ وينفقُه فى سبيل الله كإنشاء المَساجِد والمَدارس والملاجئ والمُستشفيات وجميع وجوه الخير ، لا ينقص من ماله شيئاً بل يزيد ويبقى كما قال الله تعالى : « مثلُ الَّذِين يُنفقون أموالهم فى سبيلِ الله كمثل حبّةٍ أنبتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ سُنْبلَةٍ مائةُ حبّةٍ واللهُ يضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاء » .

الحديث السادس

الْحِلْمُ سَيِّد الْأَخْلاق

عَنْ عائِشَة رَضِيَ الله عَنْها أَنَّها قَالَتْ للنَّبِي (ص) : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْم كَانَ أَشدَّ مِنْ يَوْمِ أُحد ؟ قالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وكانَ أَشدَّ مَا لَقِيتُه مِنْهُم يَوْم العَقَبة ، إِذ عَرضْتُ نَفْسِي عَلى ابْن عَبْدِ يَالِيل ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ ، فَانْطَلقْتُ وأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلم أَستَفِقْ إِلَّا وأَنَا بِقَرْن الثَّعَالِب ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابةٍ قَد أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فِإِذَا جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَام ، فَنَادَانِي فقَال: إِنَّ الله تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَومِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَال ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُم قَال : «يَا مُحَمَّد إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَولَ قَوْمِكَ لَكَ ، وأَنَا مَلَكُ الْجِبَال ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيك ، لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِك فَما شئتَ ؟ ! إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِم الْأَخْشَبَيْن ،

فَقَال النَّبي (ص) أَرجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ منْ أَصْلَابِهِم ، مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْده ، ولَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا .

معَانى الكلمات

الأَخْشَبان : الجبَلَان المُحِيطان بمكَّة .

المفرد : « الأخشب » .

قَرْن الثعالب : مَوْضع بالحجاز يحرم منه أهل نَجْد .

الشَّرح

صُورٌ مِن شَدَائِد أُحُد :

(١) فِي وَقْعةِ أُحدٍ قالَ الرَّسول صلى الله عليه وسلم : مَاوَقفْتُ مَوْقفاً أغيظَ إلىّ مِنْ هذَا ؛ وذلك لما رأَى من بَين قَتلَى المُسلِمين عمه حمزة ، وقد بُقِرَ بَطْنُه ، وَمُثِّل به ؛ وقال أَيضاً : « واللهِ لئن أَظْهرَنا اللهُ عَلَيْهم يوماً مِنَ الدَّهْر لَنُمثِّلن بهم مُثْلَةً لَمْ يمثْلها أَحدٌ مِنَ العرَب » . وَفى ذلك نزل قولهُ تعالَى : « وإنْ عَاقبتُم فَعاقِبوا بِمثلِ ما عُوقِبتم به ، ولَئِنْ صَبَرتُمْ لَهُو خَيْرٌ للصابرين » . فَصَبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ونَهَى عن المُثْلة ؛ كما مَرَّ بك .

(٢) وفى وَقْعَةِ أُحُد شُجَّتْ جبْهَةُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم وكُسِرتْ رباعِيَتُه ، ودَخَلتْ حَلْقَتان مِنَ الْمِغفَر الَّذى يَسْتُر به وَجْهَه فِى وجْنتِه ، فانتَزَعهما أبو عبَيْدَةَ عَامِرُ بنُ الجَرَّاح حتى سَقطَتْ من ذلك ثنيتاه ، فصار أهْتَمَ ؛ وعلى مرتفَع مِن جَبَل أحد تترَّس أصحابُ النَّبى صلى الله عليه وسلم دُونَه والتفُّوا حَوْلَه ، يَحْمُونه ويذُودونَ عنه ، وهنا أخَذ سَعْدُ بنُ أبى وقاص يَرْمِى بالنَّبل دونَ الرَّسول صلى الله عليه وسلم . وأقْبَل أبو دُجانَة وجعل نَفْسَه تُرْساً له والنبالُ تقَعُ علَى ظَهْرِه وهوَ يقُولُ : « نَفْسِى دُونَ نَفْسِك ، وعيْنِى دُونَ عَيْنِك ، والسَّلام عَلَيْك غَيرَ مُودَّع » .

(٣) وفى وَقْعة أحُد دَمِيَت إصْبعُ الرَّسول صلى الله عليه وسلم وَهُو يَقُول : هَلْ أَنْتِ إلَّا إصبع دَميت وَفِى سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ ؛ وفيها أيضاً هُزِمَ جَيْشُ المُسْلِمين بَعْدَ نصْرٍ مُؤَزَّر ، وذلك بَعْد أن خَالَفَ الرُّمَاةُ أَمرَ الرَّسول صلى الله عليه وسلم حَيْثُ قال لَهُم : لَا تبْرَحُوا مكَانكُم .

الرَّسول يُجيبُ عائِشَةَ :

لِهَذِه الشَّدائد التى عَرَضْنا بَعْضَها سألتِ السَّيدةُ عائشة رضى اللهُ عنها الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم : هَل أَتى عَلَيْكَ يَوْمٌ أشدُّ مِنْ يَوْم أُحُدٍ ؟ فأجَابَها الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم بأنَّه لَقِى مِنْ قَوْمِها

قُريشٍ أَذًى كثيراً ، وذَلِك فى أُسْلُوب يَدُلُّ عَلَى الكَثْرة والتَّهويل حَيْثُ قال : « لقيت ما لَقِيتُ » ، كما تقول أنت عِنْدَمَا يَسأَلك تِلْمِيذٌ مِنْ مَدْرَسَتِك مَفَاخِراً : هَلْ فِى مَدْرَستكم أدواتٌ كَما فِى مَدْرَسَتِنا ؟ فَتُجِيبه ، مَدْرسَتُنا فِيهَا مَا فِيها ، تُرِيدُ أنَّ ما فِيها كثِيرٌ لا يُمكِنُ حَصْرُه .

الرَّسُول يَذْهَبُ للطَّائف :

ثُمَّ شرَع الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم يَقُصَّ عَلَى زَوْجه أَصْعَب ما لَقِىَ ، وَذَلِك عِندَمَا عَرَض نَفْسَه فِى شَوّال سَنة عَشْر من البعْثة بَعْد وفاة عمِّه أبى طالب ، وَزوْجِه خَدِيجة عَلَى رِجَالٍ من أكابر أَهل الطَّائف مِنهُم عَبْد يا ليل وجَمَاعة مِن عُظَماء ثَقِيف ، فَرَدُّوا عليه ردًّا منكراً ، وأغروْا به السُّفَهَاء فَرموه بالحِجَارة حَتَّى تَخَضَّبتْ نَعْلَاه بالدِّماء ، ولجأ مِنهم إلى حَائِطٍ لابنىْ رَبيعة ثم أخذ يَدْعُو .

الرَّسول يَدْعُو شاكِياً مُتضرِّعاً إلى الله :

« اللَّهُم إليكَ أَشكُو ضَعْفَ قُوتى ، وقِلَّةَ حِيلَتى ، وهوانى على النَاس ، يا أرْحَمَ الرَّاحمين ، أنتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِين ، وأنت ربِّى ، إلى مَنْ تَكِلُنى ! ! إلى بَعِيدٍ يَتجهَّمُنى ، أو إلَى عَدُوٍّ ملَّكْتَه أمْرى ، إنْ لَم يَكُنْ بِكَ علىّ غَضَبٌ فَلا أبالى ، ولكِنَّ عَافِيتَك أوْسَعُ لِى ، أعوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذى أشرقَتْ لَه الظُّلُمات وصَلَح عَلَيْه أمرُ الدُّنيا والآخِرَة : مِنْ أن تُنزِلَ بى غَضَبك ، أو تُحِلَّ علَىّ سُخْطَك ؛ لك

العُتْبَى حَتَّى تَرْضَى ، ولا حَوْلَ ولَا قوة إلَّا بك » .

الرَّسُولَ يَذْهَبُ مُغَاضِباً :

انْطَلَق الرَّسول صلى الله عليه وسلم مِنَ الطَّائِف غَضْبَان لَا يَدْرِى أين يَتَوجَّه مِن شِدَّة الغَضَب ، وَلَمْ تَهْدَأ تِلك الثَّورة إلَّا بِقَرْن الثَّعالب (موضع بينه وبين مكة يومٌ وَلَيْلة) ، وهُناك رفَع رأسَه فإذا سَحَابَةٌ أظلَّته ، وإذا جِبْريل علَيْه السَّلام فى تِلْك السَّحابة وهُوَ يَقُولُ : « إنَّ اللهَ قَد سَمع قَوْل قوْمِكَ لكَ ، ومَا ردُّوا عليْك ، وَقدْ بعَثَ إلَيْك مَلَكَ الجِبَال »، وهُنا قَالَ مَلَكُ الجِبال : « قَدْ بَعثَنى ربُّك إليك لِتأمرنِى بِأمرك ، إنْ شِئْتَ أطبقْتُ عليْهم الأَخشَبَيْن » ! !

الرَّسول يَعفُو حِلْماً :

أجابَ الرَّسولُ صلى الله عليه وسلم ملَكَ الجِبَال بِمَا يَدُلُّ على كَمال رَأْفته بأُمَّته ، ونِهَاية رَحْمته بها : « بَلْ أرجو أن يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهم مَن يَعْبُدُ اللهَ وَحْده وَلَا يُشْرِكُ بِه شَيْئاً » .

جَهِلَتْ قَوْمُه عَلَيْه فَأغْضَى ، وأَخُو الحِلْم دَأْبُهُ[1] الإغْضاء

وتظْهَرُ الرَّحمة ويَنْجلِى الحِلْمُ ويَبْدُو العَفْو ، فِى تَركه صلى الله علَيْه وسَلَّم الإذن لِمَلك الجِبالَ أن يُطْبِقَ عَلَيْهم الأَخْشبيْن ، وفِى تَرْكِه الدُّعَاء عَلَيْهم بالتدمير مَعَ قُدْرته عَلى ذَلِكَ ، وعلْمِه بِتَحْقِيق الإجَابَةِ ؛ ولكنَّ

(١) دأبه الإغضاء : عادته الصفح .

اللهَ جَلَّتْ قُدْرَتُه أرسَلَ مُحَمَّدًا رَحْمَةً لِلعالَمين : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِن أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمنين رَؤُوف رَحِيمٌ . فَإِنْ تولَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وهُو رَبُّ العَرْشِ العَظِيم » .

سؤال :

١ — ماذَا قالَ أميرُ الشُّعَراء عن رحمة النبي وعطفه ؟

الحديثُ السَّابع

إِكْرَامُ الضَّيف والجَار

عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِم جَارَه، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكرِمْ ضَيْفَه.

الشَّرح

فِي هَذا الحَديثِ ثَلاثُ خِصَالٍ حَمِيدَةٍ، يَدعُو إِليها الرَّسول، ويَجْعَلُها مِنْ عَلامة الإيمان.

الخصلة الأولى

الصَّمْتُ أَوْ قَوْلُ الخَيْر:

وتُعتَبر فَضِيلةُ السكُوت عنِ الكَلام بِمَا لا خَيْر فيه، من أَجلِّ الفَضَائل الَّتي تُجَنِّبُ الإنسانَ كثيراً منْ مزالِق الهَلاك. خاصَّةً وأَنَّ بعضَ النَّاس قد تُسَيطِرُ على أَنفُسِهم شَهْوَةُ الكلام وحُبُّ الثَّرثَرة فتنطَلِقُ ألسنتُهم،

وتَخُوض فيما يَعْنِيها وما لا يَعْنيها ، ولا شَكَّ أنَّها صِفَةٌ مَرْذولة يَنْهى عَنْها الدِّين ، فمن آنسَ فى نَفْسِه مَيْلاً لِلكَلام الباطِل فَلْيُقْلِع عن ذلك . ولْيَجْعَلْ مِن نَفْسِه على نَفْسِه رَقيباً ، يُحَاسِبُهَا إنْ أخْطأَتْ ، ويَميلُ بها إنِ انْحَرَفَتْ وليتوخَّ الخيْر ، ولْيُرْشِد إلى المَعْرُوف ، ولينهَ عن المُنكَر ، أو يَنْقُلْ إلى النَّاس حديثاً طَرِيفاً ، أو فُكَاهة مُهَذَّبة تنْشَرح لها الصُّدور ، وترتاحُ بها النُّفُوس . أما مَن يرغَبُ فى التَّحدُّثِ بِفَاحِشِ القَوْل ، وعِبارات السُّوء ، وأحاديث الضَّلالة كَالخَوْضِ فى أعراضِ النَّاس واسْتِباحة لُحُومِهم ، وتَرويج الإشاعات بالباطِلِ ، فَلَن يَجُرَّ عليْه إلَّا كُلَّ بلاء من الناس ، وكل مَقْتٍ وعَذَابٍ من الله .

الخصلة الثانية

إكرامُ الجار :

الجَارُ هو الذى يُجاورك فى مَسْكَنِك ، أو فى حَقْلِك أو فى مَصْنَعِك ، أو فى مَتْجرك ، أو يَجلِسُ إلى جِوارك فى حُجْرة الدرس ، أو فى مَقْعد الطائرة أو القِطار أو التِّرام . . . والجارُ عضوٌ له أهمِّيَّتُه فى مُجْتمعك الذى تعيشُ فيه ، لأنك تَسْتطيع أن تَلْجَأ إليه ، فتطلُب معونَتَه على أعباء الحياة حُلْوِها ومرِّها . فإذا مَرِضْتَ عادكَ وجلس إلَى جانبك يُخَفِّفُ عنكَ آلامَ المَرَض وإذا أصابَتْك حَادِثَةٌ ، كأن تكون فقدتَ عَزيزاً

لديك ، تَرادُ يَخِفُّ لِمُواساتِك ويُتعِبُ نفسَه من أجْلِ تَخْفيفِ المُصيبَة عَنْك — فَمِنْ واجِبك حِينئذٍ أن تَسْعَى جاهِدًا فى إزالة الضَّرر عنه وتَخْفيف المَصائبِ عليه إنْ حَلَّتْ به مُصيبة ، ومشاركتِه فى سُرورِه وأفراحِه إنْ ناله سُرُورٌ أو فَرح ؛ ولا يَجُوزُ أن يَمْنَعَك اخْتِلافُ الدِّين من الإحْسَانِ إلى جارك غَيْرِ المُسْلِم ، لأن الرَّسُول عليه الصلاة والسلام حينما دعا إلى إكْرام الجار لم يُخَصِّص جِوارَ المُسْلِم وحده .

وقد بيَّن الرسولُ عليه السلام فى أحاديثَ كثيرةٍ حُقوقَ الجار ، ووضَّح واجبَ الشخص نحو جارِه ، ونحنُ هُنا نكتفى بِنَقْلِ الحديثِ الآتى الَّذى يَرْسم فيه الرَّسولُ صُورةً مفصَّلةً واضِحة لهذه الحُقوق : قال عليه السَّلام :

« أتَدْرُون ما حَقُّ الجارِ ؟ إذا اسْتعانَ بِكَ أعنتَه ، وإنِ اسْتَنْصَرك نصَرْته ، وإنِ اسْتَقْرَضَك أقرضْته ، وإن مَرِض عُدْتَه ، وإن مَاتَ شَيَّعْتَ جَنازَتَه ، وإن أصابَه خَيْرٌ هَنَّأتَه ، وإن أصابتْه مُصيبةٌ عزَّيته ، ولا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بالْبِناء ، فتَحْجُبَ عَنْه الرِّيح إلا بإذْنه ، وإذا اشْتَرَيْتَ فاكِهَةً فأهْدِ لَهُ ، وإن لم تفعل فأدْخلها سِرًّا ، ولا يَخْرُجْ بها ولدُك لِيَغِيظَ بها ولَدَه ولا تُؤذِه بقُتَارِ[1] قِدْرِك إلَّا أن تغْرِفَ لَهُ مِنْها » .

---

(١) قتار القدر : رائحة الطعام تنبعث من « الحلة » .

ثم قالَ :

« أتدرُون ما حَقُّ الجارِ ؟ — والَّذى نفْسى بِيَدِه — لا يبْلُغ حَقَّ الجارِ إلَّا مَنْ رَحِمَه الله » .

الخصلة الثالثة

إكرامُ الضَّيف :

وإكرامُ الضَّيْفِ يكونُ بِحُسْنِ اسْتِقباله عِنْد قُدُومه ، فيَتلقَّى المَرْءُ ضيفه هاشًّا باشًّا ، ثُمَّ يَذْهَبُ به إلى حُجْرَة الاستقبال أو إلَى « خَلْوة الضِّيفان » فيُجْلِسُه على مَقْعد مُريح ، أو سَرِير وَثير ، ويقدِّم له خيْر ما عِنْدَه مِن طعام وشراب ، وإن كان المُضِيف فى سَعَةٍ من العيْش ورَغدٍ مِنَ النَّعيم ، وكان الضَّيفُ مِنَ الفُقَرَاء المُعْدَمين ، فإنَّ من واجِبِ المُضيف حِينئذٍ أن يَمُدَّ إليهِ يَدَ المَعونة ويودِّعَه كما اسْتقبَله أول مَرة .

وإكْرام الضُّيوفِ عادةٌ عُرِفَ بِهَا السُّودانيُّون جَميعاً ، وخَصْلَةٌ اشْتَهر بِهَا أجْدَادُنا وآبَاؤنا مُنْذُ قَدِيم الزَّمان ، وكثيراً ما نَسْمَع قِصَصَ الكَرَم ، وأحاديثَ الضِّيافة تَتَنَاقَلُها الألْسنةُ مِنْ قَرْيَةٍ إلى قَرْيَة ، ومن مَدينةٍ إلى أُخْرَى ، إعجاباً بِمَنْ حَدَثَتْ مِنهم ، وتقديراً لنُفوسِهم النَّبيلة ؛ ولا شَكَّ أنها عادَةٌ عربية أصِيلَة ، وصَّى بها الإسلام ، ودعا إلى التمسك بها .

الضِّيافة الشَّرْعيَّة :

والضِّيافة الشَّرْعيَّة ثَلاثَةُ أيَّام . ومَا زادَ علَى ذَلك فَهُو تَفَضُّل مِنَ المُضِيف ، يَسْتَحِقُّ عليْه كُلَّ تقديرٍ واحْترامٍ .

هَذِه هِيَ الخِصَال الثَّلاثُ الَّتى يَسْتوجِبُها الإيمانُ باللهِ واليَوْم الآخِر ، فاحْرِص عليها ، واسْتَمْسِك بها حَتَّى تَنالَ ثَوابَ الله مُضَاعَفاً علَى ما تقدَّم من خيراتٍ .

للمناقشة :

جاء فى حَديثٍ عن النَّبى علَيْه السَّلام :

(١) ما زَالَ جِبْرِيل يُوصِينى بالجار ، حتَّى ظَنَنْتُ أنه سَيُوَرِّثه .

وفى حديث آخر :

(٢) واللهِ لا يُؤمِنُ ، واللهِ لا يُؤمِنُ ، واللهِ لا يُؤمِنُ !

قِيلَ : ومَن يا رَسول الله ؟ قالَ :

الَّذى لا يَأمَنُ جارُه بَوائقَه (شره) .

(ا) اذكرْ بعض الشخصيات التى اشْتَهَرتْ بالكَرم ؟

(ب) وماذا تعرف من خَبَرها ؟

الحديث الثامن

مَنْ تَحِلُّ لَهُ الصَّدقة

رَوَى التِّرمذِىُّ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ : (ص) :

« إِنَّ المَسْأَلَة لَا تَحِلُّ لِغَنِىٍّ ، وَلَا لِذِى مِرَّة سَوِىٍّ ، إلا لِذِى فَقْر مُدْقِع ، أَوْ غُرْم مُفْظِع . وَمَن سَأَل النَاسَ لِيُثْرِىَ بِه مَاله كَان خُمُوشَةً فِى وَجْهِهِ يَومَ القيامة ، وَرَضفًا يَأْكُله من جَهنَّم ، فَمن شاءَ فَلْيقلل ، وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْثِرْ!

مَعَانِى الكَلِمَات

ولا لِذِى مرَّةٍ سَوِىٍّ : ولا لِذى قوةٍ ، مُكتمِل الخلقة جِسماً وعقلاً.

مُدْقِع : أدقَعَه الفقر ، ألصقَ يده بالدقْعاء « التراب » .

غُرم : دَيْن .

رَضفاً : حِجارةً .

الشَّرح

لقد مرَّ بك فى دُروسِ الأحاديثِ النبوية ، أن الإسلام يَدْعُو كُلَّ من تمسك به إلى عِزَّةِ النفس ، والترفُّع بهـا عن الدَّنِيَّات ، ولخيرٌ لِلمُسْلم — إنْ كَانَ غنِيًّا — أن يُنفق على غيره ، مِن أن يُنْفَقَ عليـه ، أو يَعملَ بِيده — إن كَان صانعاً أو زارعاً — لِينفعَ نفسه ، وغيره ، أو يُعينَ مَن هُو فى حاجة إلى العون مِنه — بِتوجيهه و إرشاده — إن لم يكن مِن ذَوى الأموال أو الصناعات . والإسلامُ فى كُلِّ هذه الخُطُوات التى يَرْسُمُها ، يودُّ أن يَرْفَعَ من شَأْن مُعْتَنِقيه ، فلا يكونوا عالةً على مُجْتَمعهم ، وأن يجعلَ مِنهمْ أعضاء نافعين ، فلا يُصْبِحوا كَلاًّ على غيرهم . وصاحب الإسلام يُقرِّر أن « اليَد العُليا » وَهِىَ التى تَمُدُّ يدَ المعونة إلى المُحتاج « خيرٌ من اليَدِ السُّفلى » ، وهى اليد المُعطاةُ . كما يُقرِّر فى صراحةٍ تامةٍ : « أن المؤمن القوىَّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كُلٍّ خير » .

وفى هذا الحديث يبين صاحِبُ رِسالة الإسلام أن مسألة الناس لا تَحِلُّ إلَّا لِرَجُلين :

أحدهما : رَجُلٌ ذو فَقرٍ شَدِيد .

وثانيهما : صاحب دينٍ فَظيع .

وغير هذين من النـــاس لا يَحِلُّ له أن يتعرضَ للسُّؤالِ من الغير ، وعليه أن يَرْبأَ بنفسه ، وأن يترفَّع بهـا عن هذه الذِّلة البغيضة . وعلينا نحن أن نَهُبَّ جماعاتٍ وأفرادًا لمُساعَدَةِ البائسين من الرجال ومن النِّساء ، وأن نتصدق عليهم بما يُغْنِيهم عن ذُل السؤال ، وأن نُهيِّئ لهم سبيل العمل الشريف ما داموا قادرين عليـه . أما المرضى ، وذَوُو العاهاتِ الذين لا يستطيعون أن يُباشروا من الأعمالِ ما به يتمكَّنون من دفع الضّر ، أوجلبِ المنفعة ، فإنَّ واجبَ المسلمين — حُكومةً وشعباً — أن يعملوا على تهيئة سُبُلِ الإنفاق عليهم ، وأن تنظم أموال الزكاة لِتُصرف فى حاجاتهم ومطالبهم إلى جانب ما يجودُ به كُلُّ فَردٍ حَسبَ قُدْرتِه ، من غير تكلُّفٍ أو مشقة .

وإذا استدان المرء من غيره ، وعجز عن سدادِ دَيْنِه ، فإن الإسلام قد أباحَ لهُ حينئذٍ — أن يكشِف أمرَه لإخوانهِ المسلمين ، وأن يُبيِّن لهم حقيقة موقفهِ ، ليقُومُوا بسدادِ ما ركبه من الدَّين .

ويُحرِّم صاحب الرسالة عليه السلام مسألة الناس على شَخْصيْن :

أحدهما : الغَنِيُّ .

وثانيهما : القويّ ، ذُو البِنْية السليمة .

وسبب التحريم واضحٌ بالنسبةِ لهما ، ذلك أن الغنيَّ فى وفرةٍ من ماله ، وما سُؤالُه فى مِثل هذه الحالةِ إلَّا دليلٌ على جَشَعِه ، وعلامة على حرْصِه فى جمع المال . والسوَّال من القويّ ، القادر على العمل ، والكسبِ ،

دليل على اسْتنامته إلى الراحة ، وخُلُوده إلى الكسل . وما مثلهما — وهما بأَلانِ الناس — إلَّا كمثَل الذُّباب يَقعُ على كُلِّ مُسْتقذَر ، وينالُ من كُلِّ كريه ، ومع هذه الذِّلة التى رضيا بها وخلدا إليها فى العاجلة فإن كلاً منهما يأتى يومَ القيامه وفى وجْهه خُمُوشَةٌ ، يأكُل الْجَمرَ من حجارةِ جهنم ، كما كان يأكُل المال ظلماً فى الدُّنيا .

فمن شاء فليترفع بنفسه ، وليعش عزيز النفس ! ومن شاء أن يستذل نفسه أو يُرِيق ماء وجهه فليفعل بعد أن بان له الحقُّ ! ووضَح له السَّبِيل !

للمناقشة :

(١) ماذا تعرف عن هذه الجمعية الخيرية التى دعا إليها أحدُ الأطباء من السودانيين للتَّخفيف عن مَرْضى السل ؟

(٢) اذكر ما تعرفه من الأعمال المجيدة التى قام بها بعضُ المُحْسِنين من رجال قَرْيتِك أو مدينتك .

(٣) هل اشتركت فى عمل خيرى ؟
وما هُو الدور الذى قمت به فى هذا العمل ؟

الحديث التاسع

أَعْمَالٌ لَا يَنْقَطِعُ ثَوَابُهَا

قال رَسولُ الله (ص) :

إِذَا مَاتَ ابنُ آدَمَ انْقَطَع عَملُه إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِية ، أَو عِلْم يُنتَفَعُ به ، أَو وَلَدٍ صَالح ، يَدْعُو لَه .

الشَّرْح

لا تخرجُ أعمالُ الإنسانِ عن واحدةٍ من اثنتين : إمَّا أن تكون أعمالاً صالحةً ، وهى تلك التى جاءت حَسْبما رَسم الإسلام وقرر ، أو تكُونَ أعمالاً سيئة ، وهى تلك التى جاءت مخالفةً لِما دعا إليه الإسلامُ . فمَن داوَم على صَلاته ، وكان بَرًّا بوالديه ، كان مستحقًّا لِثواب الله . ومن كان مُتَّبِعاً لِهَوى النَّفسِ والشيطان ، فلا يحافِظُ على صلاته ، ولا يُعامِلُ والديْه مُعاملةً كرِيمةً ، كانَ مُسْتحِقًّا لِعِقَابِ الله .

وتتفاوتُ درَجاتُ الثَّواب ، بِنِسْبةِ تَفاوُتِ الأعمال ، ذلك « أنّ من سَنَّ سُنةً حسنةً فلَهُ أجْرُها وأجْرُ من عَمِل بها إلى يومِ القِيامة ، ومن

سَنَّ سُنَّةً سَيِّئة فعليه وِزْرُها وَوِزْرُ من عَمِلَ بها إلى يومِ القيامة » .

والنبي فى هذا الحديث يُخْبِرُنا أن هُناك من الأعمالِ ما لا يَنقطعُ ثوابُه ، بانتهاء حياةِ المرء ، فيستَمِر النَّفْعُ ويتجدَّد الثوابُ ما بقيَ هذا العَمل . والأعمال ثلاثة :

أولها الصَّدقة الجارية :

وهى العَمل الخالِد الذى يُقيمُه الإنسانُ ، فَينتفــعُ به الأحياء من بعْدِه ، فَحَفْر البِئْر ، فى القَرْية مَثلاً ، ومدُّ أنابيبِ المِيَاهِ فى المدينة إلى مَواضِـعَ تَشْتدُّ فيها حاجةُ الناسِ إليهَا ، كالأنابيبِ التى مُدَّتْ إلى مَقابِر[1] أم درمان — من النَّاحِية الشَّمالية الغَرْبية — لا شكَّ أنها عَملٌ جَلِيل ، يَنْتَفِـعُ به مُشَيِّعو الجنائز ، فَيَسْتظِلُّون مِن شِدَّةِ الحرِّ بذلك البِناء ، وَيستقُون ، ويتوضَّأون من ذلِكَ الماء الغَزِير الذى يجرى فى أحواضِه عَذْباً نَمِيراً . وَمِن أمْثِلَةِ الصَّدقَة الجارية إقامةُ المَساجِد للصَّلاة ، وتَشْييد المَدَارِسِ للتَّعليم ، وَبِنَاء المَنازل لإيواء الفُقَراء والمَساكين .

ثانيها العِلْمُ النَّافِـع :

ومن أمثِلَة ذَلك ما يقومُ به المُعلِّمون فى تَرْبية أبنائِهم ، فما يَنْتفِـعُ به تَلاَمِيذُهم مِن بَعدِهم ، من أعمال صَالِحَةٍ تَصدُر مِنهم ، وَما يَجتَنبونه

(١) أقامها المحسن الجليل السيد عبد المنعم محمد — عليه رحمة الله .

من أعمالٍ قَبيحة نَتيجةً لِحثِّ مُعلِّميهم عليه ، أو تحذيرِهم منه يُثابُ عليه المعلِّمون ما دَاومَ التَّلاميذ على ذلك .

ويَدخُلُ فى هذا القِسْم مُؤلَّفو الكُتب منَ العُلَماء أو الأُدباء ومدبِّجو المقالات العِلْميَّة أو الدِّينية أو الأدبية فى الصُّحف مِمَّا يَطَّلعُ عليه القُرَّاء فيُفيدون منه كثيراً من العلوم النافعة ، والعكس يَحْدُثُ لِمن دَبَّج بِيَراعِه مقالاً يَحثُّ فيه على رَذيلةٍ ، أوْ يَذُمُّ فيه بعْضَ الشَّخصيَّات المُسْلمة . . . يُعَاقبُه الله يَوْم القِيامة بأشدِّ أَنواع العِقَاب ما دَام ذلك المَقالُ مُسَطَّراً مقْرُوءا .

ثالِثُها الوَلدُ الصَّالح :

ولا شَكَّ أن الوَلَدَ غَرْس أبيهِ يتأثرُ بِه مِنْ نَاحِية الوِرَاثَةِ ، أوْ مِنْ ناحِية الاقْتِدَاء بهِ فى أعماله .

وينشأ ناشِىءُ الفِتْيان منَّا عَلى مَا كَانَ عوَّده أَبُوه[1]

فالرَّجل والمرأةُ حينَما يُربيان ابنَهما تَرْبيةً عَالِيةً ، وينشأُ الولدُ بَعْد ذَلِكَ علَى الأخلاقِ الفاضِلة ، والشِّيم الحَميدة ، كانَ ذلك مَدْعَاةً لأنْ يُحسِنَ إليْهما فى حَالِ حَياتِهما ، ويَدعو لَهُما بعد موتِهما . ودُعاء الولدِ الصَّالح — كما جاء فى هَذا الحَديثِ — عَملٌ لَا يَنْقطِعُ ثوابُه ما دَاوَم الوَلدُ على ذلك . وقَدْ تَضافَرتِ الآثارُ مِنَ الرَّسولِ على أن التَّصدقَ مِنَ

---

(١) لأبى العلاء المعرى .

الوَلَدِ الصَّالح يَصِلُ نَفْعُه إلى الميِّت من أبويْه أيًّا كانَ نَوْعُ هذه الصَّدقَةِ .

رُوِيَ أن رَجُلاً قال لِلنَّبيِّ عليه السَّلام : « يَا رَسولَ الله إنه كانَ لى أبوَانِ ، أَبرُّهما فى حَياتِهما ، فَكيْف لى بِبِرِّهما بعد موتِهما ؟ فقال النَّبيُّ : إنَّ من البر بعد البِرِّ ، أن تصلىَ لهما مع صَلاتك . وأن تَصُومَ لهما مع صِيامِك » .

وإنما يتصل ثوابُ الوالد ويتجدّدُ ما دامَ الولدُ الصالحُ مُسْتمسِكًا بِذَلك العَمل ومُتشبِّثًا به .

فلْنحرِصْ على ذَلك ، ولْنتصدَّقْ ، ولْنعلِّمْ ، ولْنُحسنْ التَّربية للأجيال المُقبِلة ، ولْنتظرْ بعد ذَلك الثَّوابَ مِن الله ، « واللهُ لا يضِيع أجرَ من أحسنَ عملاً » .

الحديثُ العَاشِرُ

الدِّينُ النَّصِيحَةُ

عَن أَبِى رُقَيَّةَ تَمِيم بْنِ أَوْس الدَّارِىِّ رَضِىَ الله تَعَالَى عَنْه : قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وسَلَّم : الدِّينُ النَّصِيحَةُ ، قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : لِلهِ ، وَلِكِتَابه ، وَلرَسُولِه ، وَلِأَئِمَّة المُسْلِمين وَعَامَّتِهم .

الشَّرح

أبو رُقَيَّةَ تَمِيم بْنِ أوسٍ صَحَابِىٌّ جليلٌ كُنِّىَ بِبِنْتِه رُقَيَّة . أَسْلَمَ فى السَّنة التَّاسِعَة مِنَ الهِجْرَة . كانَ منْ أَشْهرِ أَصْحَاب النَّبى ، وكانَ فَاضِلاً سَمْحاً كريماً ، صَاحبَ خُلُقٍ وَدِين ، اشْتَرك مَعَ رَسُولِ اللهِ فى غَزواته ،وكانَ يُكْثِرُ مِنْ قِيام اللَّيل مُصَلِّياً أو تَالِياً للقرآن . وهُو أولُ مَنْ اشْتَرى المَصابيح لإِضَاءَةِ مَسْجِد الرَّسول فى المدِينة وَيُرْوَى أنهُ لمَّا أَحْضَرها وعلَّقها عَلَى سَوارِى المَسْجد فأَضاءته قالَ عنه الرَّسول : نَوَّرْتَ مَسْجِدَنا ، نوَّر الله عَلَيْك فى الدُّنيا والآخِرة ، أمَا واللهِ لوْ كانَ لِى ابنةٌ لزوجْتُكهَا ؛ فَقالَ رَجلٌ : أنَا أُزوِّجُه ابْنَتى يَا رَسُولَ الله . فزوَّجه إيَّاها .

رَوى هَذا الصَّحابِيُّ الجَليلُ مَقالةَ الرَّسول فى هذِه الكَلمات المُوجَزَة ، ذَاتِ المَعانى الكثِيرة .

الدِّينَ النَّصِيحَةُ :

ومعنَى هَذا أنَّ عِمادَ الدِّين الإسْلامىِّ النُّصْحُ والتَّوجيهُ والإرْشاد . ولَمّا سألَ الصَّحابةُ — رِضْوانُ الله عَليهم — رَسولَهم عمّن يكونُ له النُّصح أجابَهم بقوله :

للهِ ، ولكتابه ، ولرسولهِ ، ولأئمةِ المُسلمين ، وعامَّتِهم .

النُّصْحُ لله :

والنُّصْحُ للهِ ، مَعْناه : الإيمان بهِ ، والإخْلاصُ له ، والقِيَامُ بِما أَمرَ به ، والابْتِعادُ عَمَّا نَهى عَنْهُ . ويَدخُلُ فى ذلكَ الابْتِعادُ عَنْ أصدِقاء السُّوء ، وأقرانِ الرذِيلة لأنهم يَقْطعون صلَةَ المَرْء بربِّه ، كما يَدْخُل فيه مُوالاة أهلِ الفضائل ، والمُستَمْسكين بدِينهم لأنهم يَدْعونَ إلى الله . كما جاء فى القُرآنِ الكريم مِنْ سُورةِ الكَهْف : « واُصبرْ نَفْسَك معَ الّذينَ يَدْعُون ربَّهم بالغَداة والعَشِىِّ يُريدُون وجْهَه ، ولا تَعْدُ عيناك عنهم تُريد زِينةَ الحياةِ الدُّنيا ، ولاَ تُطِعْ مَنْ أغْفلنا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبع هَواه وكانَ أمرُه فُرُطَا ».

النُّصْحُ للكتاب :

والنُّصْحُ لكِتابه — وهُو القُرْآن — مَعْناه : الإيمانُ بهِ والعَملُ بِما

فيه ، مَعَ المُحَافَظَةِ على تِلاوته وإعادةِ النظرِ فيه مرةً بَعدَ أُخْرَى . إلى جَانبِ تَبْجيلِه واحْتِرامِه وتَعْظِيمِه فَوضْعُه فى مكانٍ مُحْتَرَمٍ ، والمُحَافظَةُ على نَظافَتِه ، مِنْ واجِباتِ المُسْلِم الهَامّة ، ويدْخُلُ فى هذَا الإيمانُ ببقيَّة الكُتب السّماوِيةِ الأُخرَى :

التوراةُ ، والإنجيلُ ، والزَّبور .

النُّصْح لِرسُولِه :

والرَّسُولُ هُو سَيِّدنا مُحَمَّد صلّى الله عليه وسلَّم ؛ والنُّصْح لَه معنَاهُ : التَّصديقُ بِما جاء بِهِ ، والتِزَامُ طاعتِه فيما أَمرَ به أو نَهى عنْه ، وإحياء سُنّتِه والاقْتِدَاء بِهِ فى كلِّ ما شَرَعه للنَّاسِ ، مِنْ عِبادَاتٍ أو مُعامَلاتٍ .

النُّصحُ لأئمةِ المُسلمين :

وأئمةُ المُسلمين هُمُ الّذين يتولوْن أُمُورَ المسْلمين . فرئيسُ الوزراء ، ومَن يقومُ بمُعاونتِه فى تَدْبير أُمورِ الدوْلة وتَصْريفِ شُئون البِلاَد من الوُزرَاء ، وممثِّلُو الدَّوائر فى مَجْلس البرلمان ، أو فى المجَالِس البلدِيَّة أو الرِّيفية — عَلَينا أن نَنْصَحَهُم ونُشِيدُ بأعمالِهِم المَجيدة ، ونُوجِّههم إذا انحرفُوا عَن طَريق الصَّواب .

النُّصح لِعَامة المُسْلِمين :

وعامَّةُ المُسلمين هُم أفرادُ الشَّعب ، ونُصْحُهم يكونُ من جانبِ الوُلاَة بِتوجِيههم وإرْشَادِهم ، والضَّرب على أيْدِى العابِثين مِنهم الذَّين يَودُّون أن

يُفْسِدوا فى البِلاد بالأعمالِ المُشينة ، كما يكونُ مِنْ بعْضِهم لبعض ، فعلَى المسلمِ أن يُرْشِدَ أخاه إلى مَا فيه النَّفْع ، وَينهاه عمَّا يَجْلِبُ له ولِغيْرِه العار . وبِذَلكَ تَحْيا الضمائر وتَسْتَيقظ النُّفوس ، فيعِيشُ المجْتَمع كلُّه عيْش الرافهِين ، ويَسْعدُ سعَادَة الهانِئين ، وَيغْدُو الناسُ كلُّهم ، ويرُوحُون فى طاعةِ الله ، والعَملِ بشرائعه .

للمناقشة

(١) هَلْ مِنْ دَعائِم الدِّين أنْ تَنْصَح أحدَ زُمَلائِك فى المدرسة ؟

(٢) وكَيفَ تقُومُ بِنُصْحِه إذا كنْت ترْهَبُ شخصيَّته لِمَكانَتِه فى المجتَمَعِ المَدْرَسىِّ ؟

١١ - كُنْ عَوْنًا لِأَخِيكَ

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِىِّ (ص) قَالَ: مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْه كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِر يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِى عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْت مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ يَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُم الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُم الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ أَبطَأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ.

١٢ - سُؤَالٌ وَإِجَابَةٌ

عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَل رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَخْبِرْنِى بعَمَل يُدْخِلُنِى الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدُنِى مِنَ النَّارِ،

قَالَ : لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ، تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمِ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِى الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ ؟ الصَوْمُ جُنَّة، والصَّدَقَة تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا : « تَتَجَا فَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِىَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعَيْن جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمودِهِ، وَذِروةِ سَنَامِهِ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ!قَالَ : رَأْسُ الْأَمرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ؛ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ : كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، قُلْتُ :يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ فَقَالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ .

١٣ ـ رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ

عَنْ أَبِي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ (ص): مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَومِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ، واسْتَوْصُوا بِالنسَاءِ خَيرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلْعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا.

١٤ ـ إِنَّ اللهَ لَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ (ص) فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ،

فَاسْتَطْعِمُونِى[1] أُطْعِمْكُمْ ، يَا عِبَادِى كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِى أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ ، يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّى فَتَضُرُّونِى ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِى فَتَنْفَعُونِى ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُل وَاحِد مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِى مُلْكِى شَيْئًا ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُل وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِى شَيْئًا ، يَا عِبَادِى لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِى صَعِيدٍ وَاحِد فَسَأَلُونِى فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِد مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِى ، إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ ، يَا عِبَادِى إِنَّمَا هِىَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَّاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ .

---

(١) فاستهدونى واستطعمونى : اطلبوا منى الهداية والإطعام . . . إلخ .

١٥ ـ مَسْئُولِيَّةُ الْجَمَاعَةِ عَنِ الْفَرْدِ

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِنَّ قَومًا رَكِبُوا سَفِينَةً فَاقْتَسَمُوا فَصَارَ لِكُلِّ مَوْضِعٌ فَنَقَرَ رَجُلٌ مِنْهُمْ مَوْضِعَهُ بِفَأْسِهِ فَقَالُوا لَهُ : مَا تَصْنَعُ؟ ! قَالَ :هُوَ مَكَانِي أَصْنَعُ فِيه مَا أَشَاءُ ،فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدِهِ نَجَا وَنَجْوا وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكُوا » .

١٦ ـ فَضِيلَةُ الْعَمَلِ

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَدِمَ قَوْمٌ عَلَى النَّبِيِّ (ص) فَقَالُوا : إِنَّ فُلَانًا يَصُومُ النَّهَارَ ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ ، وَيُكْثِرُ مِنَ الذِّكْرِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ كَانَ يَكْفِي طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ. فَقَالُوا : كُلُّنَا . فَقَالَ : كُلُّكُمْ خَيرٌ مِنْهُ .

رِعَايَةُ الْبَيْتِ

مَنْ مِنَ المسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لاَ يَعْرِفُ فَاطِمَةَ ؟!

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ الْمُسْلِمِينَ لاَ يَعْرِفُ عَنْهَا إلاَّ أَنَّهَا بِنْتُ رَسُولِ اللهِ (ص) وَزَوْجَةُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ أَلَمَّ بِطَرَفٍ مِنْ شَأْنِهَا مَعَ نَفْسِهَا وَمَعَ النَّاسِ.

تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقْرَأَ خَبَرَ ذَلِكَ فِيمَا أُثِرَ عَنْهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا: قَالَ عَلِيٌّ لابْنِ أَعْبُدٍ: يَا بْنَ أَعْبُدٍ أَلاَ أُخْبِرُكَ عَنِّي وَعَنْ فَاطِمَةَ ؟ كَانَتْ ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ (ص) وَأَكْرَمَ أَهْلِهِ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ زَوْجَتِي فَجَرَّتْ بِالرَّحَاءِ[1] حَتَّى أَثَّرَ الرَّحَاءُ بِيَدِهَا، وَاسْتَقَتْ بِالقِرْبَةِ حَتَّى أَثَّرَتْ القِرْبَةُ بِنَحْرِهَا، وَقَمَّتْ[2] البَيْتَ حَتَّى أَغْبَرَّتْ ثِيَابُهَا، وَأَصَابَهَا مِنْ ذَلِكَ ضُرٌّ.

هَكَذَا قَضَتْ حَيَاتَهَا فَاطِمَةُ فِي يَدِهَا أَثَرُ الرَّحَى، وَفِي نَحْرِهَا أَثَرُ القِرْبَةِ وَعَلَى ثِيَابِهَا قُمَامَةُ البَيْتِ وَدَنَسُ القِدْرِ.

بَلْ إِنَّهَا لَيَشْتَدُّ الْأَمْرُ عَلَيْهَا وَهِيَ حَامِلٌ فَكَانَتْ إِذَا خَبَزَتْ أَصَابَ حَرُّ التَّنُّورِ[3] بَطْنَهَا: فَأَتَتْ أَبَاهَا رَسُولَ اللهِ (ص) تَسْأَلُهُ

---

(١) الرحاء: الطاحونة « الرحادية » عندنا فى السودان.

(٢) تقم البيت: تنظفه — والقمامة الوساخة.

(٣) التنور: الفرن مكان الخبز.

خَادِماً ، فقال لها : « لاَ أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَةِ [1] تَطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ ، أَوَلاَ أَدُلُّكِ على خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ ، إِذَا أَوَيْتِ إِلى فِرَاشِكِ تُسَبِّحِينَ اللهَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ ، وتَحْمَدِينَهُ ثَلاثاً وثَلاَثِينَ ، وتُكَبِّرِينَهُ أَرْبَعاً وَثلاثينَ .

هَكَذَا رَدَّها أَبُوها النَّبِيُّ ، وأَضَافَ إِلَى شُغْلِهَا الَّذِى أَنْهَكَها شُغْلاً جَدِيداً مِنَ الذِّكْرِ والتَّسْبِيحِ ؛ فَهَلْ كانَ ذَلِكَ عَنْ قَسْوَةٍ مِنْهُ ؟ كلاَّ ولكِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسْلِمَ قَلْبَها إِلَى مَعانِيهِ الْعُلْوِيَّةِ ويَغْمُرَ نَفْسَها بِذِكْرِ اللهِ ويَشْغَلَها عَنْ شَكْوَى جَسَدِها المَنْهُوكِ .

(من مجلة « المسلمون » بتصرف)

---

(١) أهل الصفة : جماعة من فقراء الصحابة .

كَرَمٌ وَمُرُوءَةٌ

لمَّا اتسعتْ رُقْعةُ البلادِ الإسلاميةِ ، وكثرتِ الفتوحُ فى عهد سيِّدِنا عمرَ بنِ الخطَّاب ، ففُتِحتْ مِصرُ والشامُ والعراقُ وفلسطينُ — كان دَخْلُ الدَّوْلةِ منَ الخراجِ والضرائبِ كثيراً ، وكان سيدُنا عمرُ رضىَ الله عنه هو الحارِسَ على هذه الأموالِ التى تصلُ إلى يَديْه مِنْ عُمَّالِهِ فى الأقاليمِ المختلفة. وكان من عَدْلِهِ أن رتَّبَ لِكلٍّ من المهاجِرينَ والأنصارِ مرتَّباتٍ خاصَّةً ، كما نَظَّمَ لِأزواجِ النبىِّ (ص) لِكلٍّ واحِدَةٍ اثْنَى عشرَ أَلفَ دِرْهمٍ . وكانت زَينبُ بنتُ جَحْشٍ — رضىَ اللهُ عنها — إحْدَاهنَّ ، وكانت أسْخَى زَوْجاتِهِ عليهِ السلامُ ، وأَرْسَلَ إليها عمرُ بنصيبها لأوَّلِ مرَّةٍ ، فلما رَأَتْهُ وَجَدَتْ شيئاً عظيماً لم ترَ مِثلهُ ولم تَحْسبْهُ لها بل ظَنَّت ، أنَّ عمرَ أرسل به لِتُقَسِّمَهُ فى صُوَيْحِباتِها منْ زوجاتِ النبىِّ (ص) فقالت : غفرَ اللهُ لأميرِ المؤمنينَ ، لقد كان فى صَواحِباتِى من هىَ أقْوَى على قِسمتِه منِّى . فقيل لها : إن هذا المالَ كلَّهُ لَكِ . فأمرتْ بهِ فصُبَّ وغطَّتهُ بثوبٍ ، وكانت صائمةً فقالت لبعضِ من عندها : أدْخِلِى يدَكِ لآلِ فلانٍ ، فلم تَزَل تُعطِى لِآلِ فُلانٍ وآلِ فلانٍ وآلِ فُلانٍ حتى قالت لها التى تُدخِلُ يَدَها : لا أَراكِ تَذكرِينَنى ولىَ عليكِ حقٌّ ، فقالت : لكِ ما تحتَ الثوبِ . فكشفَتْ الثوبَ فإذا

خمسةٌ وثمانونَ درهماً فأخذَتها وانصرفت . فقالت لها خادِمتُها : هَلاّ كنتِ أبقيتِ لنا شيئاً نتقوّتُ بهِ وأنتِ صائمةٌ ؟ فقالتْ : لو ذَكَّرْتِنى لفعلتُ وعند اللهِ فَضْلٌ كثيرٌ . ثم رفعَتْ الطاهرةُ يدَها إلى الله وقالت :

« اللهُمَّ لا يُدْرِكُنى عطاء عمر بعد عامى هذا » .

الدُّعَاءُ والاسْتِغْفَارُ

١ ـ عَنْ عَائِشَةَ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِىَّ (ص) عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ :

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنَ الخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ قَضَيْتَهُ لِى خَيْرًا .

٢ ـ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ (ص) يَدَعُ هَذِهِ الكَلِمَاتِ حِينَ يُمْسِى وَحِينَ يُصْبِحُ :

اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِى دِينِى وَدُنْيَاىَ وَأَهْلِى

وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي ، وَآمِنْ رَوْعَاتِي ، واحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ ، وَمِنْ خَلْفِي، وَعَنْ يَمِينِي، وَعَنْ شِمَالِي، وَمِنْ فَوْقِي ، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي .

٣ ـ مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ :

عَنْ أَبِي حُمَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (ص) : إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم المَسْجِدَ فَلْيَقُلْ :اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ.

٤ ـ مَا يُقَالُ عِنْدَ لُبْسِ الثَّوْبِ الْجَدِيدِ :

عَنْ أَبِي سَعِيد قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ (ص) إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً ثُمَّ يَقُولُ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ ، وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ .

٦ ـ دُعَاءٌ لِلإِمَامِ أَبِي القَاسِمِ السُّهَيْلِي المُتَوَفَّى سنة ٥٨١ هـ

يا مَن يَرَى ما فِي الضميرِ ويسمعُ ... أنت المُعَدُّ لِكلِّ ما يُتَوَقَّعُ

يا مَن يُرَجَّى لِلشَّدائِدِ كلِّها ... يا من إليهِ المشتكَى والمَفْزَعُ

يا منْ خَزائِنُ رِزْقِهِ فِي قولِ كُنْ ... أمْنُنْ فإنَّ الخيرَ عِندَكَ أجْمَعُ

مالِي سِوَى قَرْعِي لِبابِكَ حِيلَةٌ ... فَلَئِنْ رُدِدْتُ فأيَّ بابٍ أَقرَعُ

مالِي سِوَى فقرِي إلَيكَ وسيلَةٌ ... وبالافتقارِ إلَيكَ فَقْرِيَ أَدْفَعُ

مَن ذَا الذِي أَدْعو وأَهْتِفُ باسمِهِ ... إنْ كان فَضْلُكَ عن فقيرِكَ يُمْنَعُ

حاشَا لِمَجْدِكَ أن تُقَنِّطَ عاصِياً ... الفضلُ أجْزَلُ والمواهِبُ أوْسَعُ

(٣)

دروس فى العبادات

الدَّرسُ الأول

صِفَاتُ المَاء

على المُسلم أن يكون نظيفاً طاهِرَ البَدنِ والثِّياب ، وقد شَرَع الإسلام هذه الصلواتِ الخمس التى تتكرر فيها عمليةُ الوضُوء خَمْس مرات أو ثلاثاً ، لِتكون أعضاءُ المُصلِّى : عَيناه ويَداه ورِجلاه وأنفُه وأذناه نظيفةً طاهرة ، وأوجب الإسلامُ كذلك استعمالَ الماءِ النظيف الطَّاهِر حِينما يَقْضى الإنسان حاجتَه ، أو تعلَقُ بِيديْه أو ثَوْبِه نَجَاسَةٌ .

(١) الماء الطَّهُور : وهُو الماء الذى لم يتغيَّر لونُه ولا طعمُه ولا رائحتُهُ بِشىء . فماء المطَر ، والثَّلْج ، وماء البَحْر ، وماء البِئْر ، ومَاء الأنهار والعُيُون . . . كلُّ ذلك ماء طَهُور يَسْتعمِلُه المسلم فى نظافةِ بَدنه . قال تعالى : « وأنزلنا من السَّماءِ ماءً طَهُورًا » .

(٢) الماء الطَّاهِر : وَهُو الماء الذى خَالَطه شىء طاهِر — مِثل اللَّيمون والبرتقال ، والماء الذى اخْتَلطَ بِصابُون طاهِرٌ كذلك . . . وهذا الماء لا يُستعملُ فى عمليَّة الوُضوء .

(٣) الماء المُتنجِّس : وَهُو الماء الذى اخْتلَط بِنَجاسَة فغيَّرتْ واحِدًا مِن أوصافِه السَّابِقة التى ذكرناها : اللَّون أو الطَّعْم ، أو الرَّائحة . فأصبح

نَجِساً كَرِيهاً يَنْفِرُ مِنهُ الطَّبع ، ولا يُقر استعماله الشَّرْع ، لا فى عِبادة ولا فى غَيْرِه .

أسئلة للإجابة :

(١) إذا بَخَّرتَ « القُلَّة » بالمِسْك — هل يجوز أن تتوضَّأ مِن مائها ؟ ولماذا ؟

(٢) ماذا تفعلُ حِينما تَجِدُ « ماء طاهراً » وأنت تُريد صلاة الظُّهر ؟

(٣) إذا صَلَّيْتَ بِثَوْبٍ فيه نَجَاسَةٌ وأنتَ لا تعلمُ ذلك ، فهل تَصِحُّ صلاتُك ؟

(٤) لَو استَقَيْتَ من ماء البِئْر بِدلْوٍ فيه رائِحَةُ القَطِرَان . فهل تَسْتعمِلُ هذا الماء فى الوُضوء ؟

الدَّرسُ الثَّانى

النَّظَافَةُ فِى الْإِسْلَام

قال صلى الله عليه وسلم : « النَّظافةُ من الإيمان » .

(١) الوضوء : عملية يقومُ بها كلُّ مسلمٍ ومُسْلِمَة ، كُلَّما أراد الواحدُ منهما أن يقف بين يدى خالِقه خمسَ مراتٍ فى اليوم استجابةً لأمره . فيغسِلُ المرء أعضاءَ الوُضُوء التى فرضَها القرآن : « يأيها الذينَ آمنوا إذا قُمتم إلى الصَّلَاة فاغْسِلُوا وُجُوهَكم وأَيْدِيَكُمْ إلى المَرافقِ وامْسَحُوا بِرُءوسِكم وأرجلَكم إلى الكَعْبَين »[1] .

كما يغسل أعضاءه التى سنَّها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(١) اليدين إلى الكوعين .

(٢) ويَتمضْمضُ ثلاثاً .

(٣) ، (٤) ويستنشِقُ ويستنثر ثلاثاً .

(٥) ويَمْسحُ رأسَه .

(٦) ويَمْسحُ أُذنيْه .

ولغسْلِ هذه الأعضاء فوائدُ كَثيرةٌ عرفتَها فيما سبق ، وذلك لأنها مُعرَّضةٌ للاتساخ بالأتربة والعرق .

---

(١) سورة المائدة

(٢) الاستحمام : أوجبَ الإسلامُ الاسْتِحْمامَ على الرَّجل وزَوْجته بعد الجماع . كما ألزم به الشخصَ عند أداء هذه العبادَات التى يستلزمُ أن يؤدِّيها الناسُ فى جماعَةٍ ، مثل صلاة الجمعة ، وصلاة العيدين . بل إن الاستحمامَ عندنا فى « السودان » ينبغى أن يكونَ على الأقلِّ مرةً كُلّ يوم فى زمنِ الصيف إذا أرادَ الإنسانُ أن يحتفِظ بنشاطه وحيويته ، ويكونَ مألوفاً محبُوباً عِندَ الناس .

(٣) نظافَةُ الأسنان : قال صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنْ أَشقَّ على أُمتى لأمرتُهم بالسِّواكِ عِندَ كُلِّ صلاةٍ » . ومِن هُنا نعلمُ أن نظافةَ الأسنانِ لازمةٌ . بل إنها ضرُورِيةٌ للغاية خُصوصاً عندما يَنهضُ الإنسانُ مِن فِراشِ نَوْمِه . واسْتِعمالُ المِسواك أو فُرْشةِ الأسنانِ يُكْسِبُ الفم رائحةً طَيِّبة ، ويشعرُ المرء بعدَه بسعادةٍ وبهجةٍ . ولا شكَّ أن إهمال الأسنان وعدم العِنايةِ بِنظافَتِها يُؤدِّى إلى فَسادِها وتَسوُّسها .

ملحوظة : يمكنُ أن تُصَلِّى بوُضُوءٍ واحدٍ أكْثرَ مِنْ صلاةٍ . ويندب تجديدُه .

الدرس الثالث

١ ـ مَا قَرَّرَ الشَّرْعُ طَهَارَتَهُ

٢ ـ وَمَا حَكَمَ فِيه بِالنَّجَاسَة

قد عرفت فى الدَّرْسِ السَّابِق أن الماء الطَّهور هو الذى نَستَعمِلُه فى نَظَافَةِ أبدانِنا حينما نَسْتَحِم ، أو فى غَسْل أعضائنا حينما نتوضَّأ ، أو فى تَطْهِيرِ ثِيابِنا . . . وستَقِفُ فى هذا الدرس على قاعِدَتَيْن من قواعدِ شريعَتك السَّمحة ، ودِينك القَويم .

هُناك مِن الأشياء ما حَكَم الشَّرع فِيه بالطهارة ، وما قَرَّر أنه نَجِس.

القاعدة الأولى :

(ا) ما قَرَّر الشَّرعُ طهارتَه :

(١) الإنسان : طاهر وكذلك دَمْعُه وعَرقُه ، ولُعابُه ، ومخاطه .

(٢) الحيوان : الذى أباحَ الشرع أكل لَحْمِه طاهر . وكذلك دمعُه وعرقُه ولُعابه ، ومُخَاطُه ، وبيضُه الذى لم يَفْسُد .

(٣) النَّبات : أشجار القُطن ، والبرتقال ، وأعوادُ الذُّرة وغيرُها من أنواع النبات طاهرة

(٤) السَّوائل : الزُّيوت ، والسَّمن ، والعَسل ، والروائح العِطرية والخلُّ — كلُّ ذلك طاهِر ما لم يَطرأ عليه نجاسةٌ .

القاعدة الثانية .

(ب) ما حكم فيه الشَّرْعُ بالنَّجاسة :

(١) الحيوانات الميْتة وما يخرج مِنها ، كالدَّم ، والبَوْل . . إلخ

(٢) ما يَسِيلُ من القُروح .

(٣) فَضَلاتُ الإنسان والحيوان الذى لم يُبِحْ الشَّرْعُ أَكْلَ لَحْمِه كالحمِير والبِغال .

أسئلة للاجابة :

(١) ما الحكم إذا ولَغ الكلْب فى ماء ؟

(٢) كيف تَفْهَمُ قوله صلى الله عليه وسلم : « أُحِلَّتْ لنا مَيْتَان ودَمان : فأما المَيْتان ، فالحوتُ والجراد . وأما الدمان فالكبِدُ والطِّحال » ، والله سبحانه يقول : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ والدَّمُ ولحم الخنْزِيرِ » ؟

الدرس الرابع

آدَابٌ إِسْلَامِيَّة

لِدُخُول المَرَاحِيض ، أو الخُروج إلى الصَّحْراء مِن أجل قَضَاء الإنْسَان حَاجَته « مِن بَوْل أو غَيْره » آدابٌ إسْلَامِيةٌ تَجِبُ مُراعاتُها والمُحافَظَةُ عَلَيْها . وهَذِه الآدابُ قد لَا يَهْتَم بها كَثِيرٌ من الناس ، مَع أن الدِّينَ الإسْلَامِيّ ألزمنا بِها . وطلَب إلينا أن نُوليَها جانِباً كَبيراً من الاعْتِبار ، وحَذّرنا مِنْ تَركِها مخافَةَ أن يَحْدُثَ لِلإنْسَانِ مَا لَمْ يكُنْ فى حُسْبَانِه .

روَى عَبْدُ الله بْنُ عباس أَنّ النَّبِى صلى الله عليه وسلم مَرّ بِقَبرَيْنِ فقال : عَن صاحِبَيْهما : إنَّهما يُعذَّبانِ ، وما يُعَذَّبانِ فى كَبِير ؛ أما أحدُهما فكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ من البَوْل ، وأما الآخر فكَان يَمْشِى بالنَّميمة .

وتتلخَّص هذه الآدابُ الإسْلَامية فِيما يَأْتى :

(١) أن يقول الشَّخصُ عند الدُّخول : بِسم الله . اللَّهم إنى أعوذ بِكَ من الخُبْثِ والخبائث .

وعند الخروج : الحَمْد لله الَّذِى أذهَب عنى الأَذى وعافانى (سرًّا)

(٢) أن يُديم سَتْر عَوْرَته حتى يَقْترِب من مَوْضِع الجلُوس .

(٣) أن يَقْضِىَ حَاجتَه وهو جَالس .

(٤) أن يَعْتَمِد على رجْلِه اليُسْرى .

(٥) أن يُغطِّى رأسَه .

(٦) أن يَبْتَعِد عن البول فى الجُحْرِ .

(٧) أن يَسْتَتِر عن أَعْيُنِ النَّاس إذا كانَ فى الخلَاء .

(٨) أن لَا يَتَّجِه للقبـــلة فى جلسته إكراماً لَها ، فَلا يَسْتقبلها أو يَسْتَدْبِرها إلّا لِضَرُورة .

(٩) أن يَسْتَعمِل الماءَ فى غَسْل السَّبيلين .

(١٠) أن يَبْتَعِد الإنسانُ عَنِ التَّبرُّز فى المَاء .

(١١) أن يَبْتَعِدَ عن البَول أو التبرز فى الظلِّ ومَوارد المَاء .

(١٢) أن يَطْمُر البِرَاز بالتُّراب لِئلا يَقع عليه الذُّباب إذا كانَ يتبرَّز فى الخَلَاء .

الدَّرس الخامس

سُهُولَةٌ وَيُسْر

ماذا تفعل إذا كانَ بِعُضْو من أعضائك جُرْحٌ أو كَسْر ؟

إن الدِّين الإسْلامى دينُ يُسْر . ليس فِيه مَشَقَّة على المَرء . ولا يُكَلِّفه ما لَا طَاقَة له به . فإذَا كَانَ بأحَدِ أعْضاء الوُضوء لِمَنْ أرادَ أن يَتوضَّأ — جُرْح أو كَسْرٌ ، وكان غسْلُ هذَا العُضْوِ يَضرُّ به فقَدْ شَرع الدِّين مَا يُسَهِّل عليه هذه المهمَّة ، حتى لا يترك صلاتَه اتكالاً على هذا العُذْر ؛ وهذه هى الخُطوات التى يَتَّبِعُها الشَّخص فى الحَالَة السَّابِقة على التَّرتيب الآتى :

(١) يَمْسحُ العُضوَ المُصَاب مِنْ غَيْرِ غَسْل ؛ فإذا خَافَ من المَسح فإنه :

(٢) يَمْسحُ على الدَّواء ؛ وإذا كان يتَضَرَّر فإنه :

(٣) يَمْسحُ على الشَّرِيط المَلْفُوف على الجُرْح .

أما إذَا كَانَ استعمالُ المَاء فى الاسْتِحْمامِ يضرُّ بالإنْسان فى جَسَدِه ، كأنْ يَكُونَ مُصَاباً بزُكامٍ حَادٍّ : أو بَنَزْلَةٍ ، فإنَّ واجِبَه حِينئذ أن يَتَيَمَّم .

قال اللهُ تَعالى فى سُورة البَقَرة : « يُرِيدُ اللهُ بِكُم اليُسْرَ ولَا يُرِيد بِكُمُ العُسْر » .

صَلاةُ المَرِيض :

ومِنْ يُسْر الإسْلام أنَّه خَفَّف علَى المَرِيضِ الَّذِى لَا يَسْتطِيع أنْ يُؤَدِّى حَركاتِ الصَّلاةِ : جَاء فى صَحيح البُخَارِى أن عِمْران بْنَ حُصَيْن قل : كانَتْ بِى بَواسِيرُ فسألتُ النَّبى صلى الله عليه وسلم عن الصَّلاةِ ، فقال : « صَلِّ قائِماً ، فإنْ لمْ تَستَطِع فعلى جَنْبٍ » .

ومن هُنا نَعْلَمُ سُهُولَةَ الإسْلَام ويُسْرَه فى هَذِه الأحكام التى شَرَعَها الله لِمنْفعَة عِبادِه .

الدَّرس السَّادس

مَشْرُوعِيَّةُ الصَّلَاة

شُرِعَت الصَّلواتُ الخَمْسُ لِتَكُونَ صِلَةً بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّه . يَتَفرَّغُ فِيها من شُئُونِ دُنْيَاه ، لِيَخْلُو قَلْبُه إلى شُئُونِ آخِرته ويُقْبلَ على ربِّه فِي خُشُوع وتَضرُّع ، يَشْكُره علَى آلائه الكَثِيرة ، ويَحْمَدُه على نِعَمِه الوفيرة ، ويَسْأله التَّوبة والمَغْفِرةَ . ولهذا الاتصال — خَمْس مرَّات فِي اليَوْم — أثَرُه العَمِيقُ فى النَّفس . فِيه تجد طُمَأْنِينَتها ، ومنه تَسْتَمِدُّ راحتَها وقُوَّتَها ، والصلاةُ هِيَ الدِّين ، ولا دِين لِمنْ لَا صَلاةَ لَه ، كما قال النبى عليه السلام .

مَتَى شُرِعَتْ الصَّلاة ؟

شَرَع الله الصَّلوات الخَمْس لَيْلَةَ الإسْرَاء ، كَما جَاء فى الحَدِيث الَّذِى رَواه أَنس رَضِىَ الله عنه قالَ : فُرِضَتْ علَى النَّبِى لَيْلةَ أُسرِىَ به الصَّلواتُ خَمْسِين، ثم نُقِصَتْ حتَّى جُعلَت خَمْسًا ، ثم نُودِىَ : يَامحمد ! إنه لَا يُبدَّلُ القَوْلُ لَدِىَّ ، وإن لَك بِهذِه الخَمْس خَمْسِين .

جَزاء تارك الصَّلاة :

قال صلَّى الله عليه وسلم : « تَارِكُ الصَّلاة مَلْعُون ، وجارُهُ إنْ رضِىَ

به مَلْعُون ، ولولَا أنَّى حَكم عَدْلٌ لقلتُ : وَمَنْ يَخْرج من ظهره مَلعون .

وقال : إن بيْن الرَّجل وبيْنَ الشِّرك والكُفر تَرْكَ الصَّلاة ؛ فاحْرِص عَلَيها — أيها المُسْلم — ولا تُفرِّط فِيها . وامْتثلْ أمرَ ربِّك : « إنَّ الصَّلاة تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والْمُنْكَر ولذِكْرُ اللهِ أكبَرُ .

أقْسَام الصَّلاة :

(١) فُروض العَيْن ، وهى الصَّلواتُ الخَمْس ، والجُمْعة ، وَاجِبةٌ على كُلِّ عَيْنٍ : مُسْلِم ومُسْلِمة ، كَبِيرٍ وصَغير[1] .

(٢) فَرْض الكِفاية : كصلاةِ الجنازة ، تَجِبُ على بَعْض المُسلِمين وتَسْقُطُ عن الباقين .

(٣) السنن المُؤكَّدة : مِثل : صَلَاة الرَّغيبة ، والشَّفْع والوِتر . وصَلَاة العِيدَيْن .

(٤) النوافل : وهى صَلاة التَّراويح ، وصَلَاةُ التَّطوع .

---

(١) والصغير : يأمره بها ولى أمره عند السابعة ، ويضربه على تركها عند العاشرة . « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر » .

الدرس السابع

فَرَائِض الصَّلَاة

للصلاة أقوالٌ وأفعالٌ ، مَثَلُها كمَثَل الجسم : لا يكونُ جسَداً كاملًا إلا إذا كانتْ أعْضاؤه سَليمةً صحيحةً ، وكذلكَ الصَّلاةُ لا تُعْتَبَر حَقِيقَتُها إلا بمَجْمُوع هذه الأفعال والأقْوال .

وللصلاة فرائض هى :

(١) النيَّة : فينْوِى المُصَلِّى الوُقوفَ بينَ يَدَىْ ربِّه مُسْتَحْضِرًا عظمتَه وجَلالَه ليَخْشَع قَلْبُه :

(٢) تكبيرةُ الإحرام : وهى لفظُ : الله أكبر ؛ لا يُجْزِئْ أىُّ لَفظٍ آخر .

(٣) القيام للإحرام : فلا يُحْرِمُ للصَّلاة وهو جالسٌ إلا إذا كانَ مَرِيضاً .

(٤) قراءةُ الفاتِحة : وتَجِبُ علَى الإمام والشخص المُنفرد . وتُسْتَحَب فِى حق المَأموم إذا كان الإمامُ يقرأُ سِرًّا .

(٥) القِيامُ لقراءة الفاتِحة .

(٦) الرُّكوع : ويكونُ الشَّخص فيه مُسْتَوِىَ الظَّهْر فى حالَةِ انْحِنائِه .

(٧) السُّجُودُ : ويتحقَّق باسْتقرار الأعضاء الآتية وتَمكينِها من الأرض :

(١) الجبهة (٢) الأنف (٣) الركبتين (٤) أصابع القدمين (٥) اليدين .

(٨) الرَّفْع من الرُّكوع قائِلاً : سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَه . رَبَّنا ولَكَ الحَمْد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه .

(٩) السُّجود ، ويقول سِرًّا : سُبْحَانك رَبِّى عَمِلتُ سُوءًا وظَلَمْتُ نَفسى فاغْفِرْ لى .

(١٠) الرَّفع من السُّجُود ، ويقولُ سرًّا : اللَّهُمَّ اغفِرْ لى وارحَمْنى واسْتُرْنِي واعفُ عَنِّى وعافنى .

(١١) الجُلُوس بين السَّجْدتين .

(١٢) الجُلُوس بِقَدْر السَّلام .

(١٣) السَّلام . ولفظُه : السَّلام عليكم ورحمةُ الله .

(١٤) الطُّمأنينة : وهى سكونُ الأعضاء واستقرارُها .

(١٥) ترتيبُ الأركان فى الأداء : فيكون القِيامُ قبلَ الرُّكوع والركوع قَبْل السُّجُود وهكذا . . .

أسئلة للإجابة : (١) متى يتحقَّقُ الركوع ؟

(٢) ما هو الفَرْق بين الفَرْضيْن : الطُّمأنينة والاعتدال ؟

(٣) هل يَجُوز أن تُكبِّر بلفظٍ غَيْرِ عربى ؟

الدَّرس الثامن

سُنَن الصَّلَاة

والسُّنة هِيَ ما واظَب عليه الرَّسول وداوَم حَتَّى أصبَحَت لازِمة لُزُومَ الفَرائض . وسُنَن الصَّلاة التى داوَم عليها الرَّسول عليه السلام هى :

(١) قِراءةُ ما زادَ على الفاتحة . سواءٌ كان المَقْروء سورةً أو آيةً .

(٢) القيام لقراءة ما زَادَ على الفاتحة .

(٣) الجَهْر فى مَحَل الجهر . وأقلُّ الجهْر أن يُسْمِع القارئُ مَن يليه .

(٤) السِّر فى محل السِّر . وأعلى السِّر أَنْ يُسْمِعَ القارئُ نَفْسَه ومَن يَليه .

(٥) التَّكبير كلُّه ما عَدا تكبيرة الإحْرام .

(٦) التَّسْمِيع « قولُ : سَمِع الله لمن حمده » للإمام والمُنْفَرد .

(٧) التَّشهد الأول والثَّانى .

(٨) الجُلُوس الزَّائد على قَدر السلام .

(٩) الجَهْرُ بالتَّسْليم .

(١٠) الاستماعُ للإمام فى القِراءة الجَهْرية .

(١١) السترة للإمام : فيركز أمامَه عصاً أو نحوَها لا يقلُّ طولُها عن ذراع .

مُسْتَحَبَّات الصَّلاة :

وهى كثيرة ومنها :

(١) قراءةُ المأموم مع الإمام فى القراءة السِّرية .

(٢) رفعُ اليَدَيْن عِنْدَ تَكْبيرَة الإحْرامِ .

(٣) تَطْويلُ القراءة فى الصُّبح والظُّهْر وتقْصِيرُها فى العَصْر والمَغْرب وتَوَسُّطها فى العِشَاء .

(٤) قول « آمين » عند نهاية الفاتحة .

(٥) قراءةُ القُنوت فى صلاة الصُّبح .

(٦) التَّسْبِيح فى حال الركوع : « سُبْحَان رَبِّى العَظيم » لقوله عليه السلام : « أما الركوع فعظِّموا فيه الرَّب وأما السُّجود فادْعوا فيه بِما شِئْتم » ويقول فى السُّجود : سبحانك رَبِّى ظَلمتُ نَفْسى وعمِلت سُوءًا فاغفر لى .

(٧) وعقْدُ أصابع اليَدِ ومَدُّ السَّبابة وتَحْرِيكُها بِبُطْء .

(٨) التَّيامن بالسلام .

(٩) النَّظرُ إلى مَوْضِع سُجوده فى حالِ قِيامِه .

(١٠) المَشْىُ إلى الصَّلاة بِوَقار وسَكِينة .

(١١) اِعْتِدال الصُّفوف فى صَلاة الجماعة .

الدَّرس التَّاسع

الصَّلَاة عَلَى المَيِّت

رَوى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قَال : «مَن خَرَجَ مَع جَنَازة مِنْ بَيْتِهَا ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ كَانَ لَه قِيرَاطَانِ مِنْ أَجْر ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُد . وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ كَانَ لَه مِثْل أُحُد .

حُكْم صَلاةِ الجنازة :

فَرْضُ كِفاية ، إذا قامَ بِها جَمْعٌ مِن المُسْلِمين فَقَدْ أدَّوا واجِبَهُمْ وتَسْقُطُ عَمَّن لَمْ يُصَلِّها منهم .

شُروطُها : ثلاثةٌ :

(١) الطَّهارة .

(٢) اسْتِقْبالُ القِبْلَة .

(٣) سَتْر العَوْرَة .

أركانُها : خَمْسَة :

(١) النِّيَّة .

(٢) القِيام للصَّلَاة .

(٣) أربعُ تَكْبيرات .

(٤) الدُّعاء .

(٥) السَّلام .

ويُسْتَحَبُّ للمُصَلِّي أنْ يَدْعُوَ بِهذا الدُّعاء[1] ولْيَبْدَأْ بِحَمْدِ الله والصَّلاة عَلَى رَسُولِهِ هكذا :

الحمدُ لِلّهِ رَبِّ العَالَمين ، اللَّهُمَّ صلِّ عَلَى مُحَمَّد وعلَى آلِ مُحَمَّد كما صَلَّيتَ ورَحِمْتَ وباركْت عَلَى إبراهيم وَعَلَى آلِ إبراهيم فِي العالَمين إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيد .

اللَّهُم إنَّه عَبْدُكَ وابْنُ عَبْدِك وابنُ أَمتِك ، كانَ يَشْهدُ أَنْ لاَ إلَه إلاّ أنتَ ، وحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ ، وأن مُحمَّداً عَبْدُك وَرَسُولك . وأَنْتَ أعلَمُ به . اللهم إنْ كانَ مُحْسِناً فَزِدْ فى إحسَانِه ، وإنْ كانَ مُسِيئاً فَتجاوَزْ عَنْ سَيِّئَاتِه . اللهم لاَ تَحْرِمنَا أَجْرَه ولاَ تَفْتِنَّا بَعْدَه . اللهم اغْفِرْ لَه وارْحَمْه » .

---

(١) وهو الدعاء الذى رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى عليه السلام .

تَدْعُو بِهذَا الدُّعاء بَعدَ كُلِّ تكْبيرَة ، وتزِيدُ عليْه بَعدَ التَّكبيرة الرَّابعة إن شِئْت :

« اللهم اغْفِرْ لحيِّنا وميِّتنا ، وصَغيرِنا وكَبيرِنا ، وذكَرِنا وأُنْثانا ، وشَاهِدِنا وغائِبنا ، اللهم مَن أَحْيَيْتَه مِنَّا فأَحْيِه عَلَى الإِسْلام ، ومَن تَوفَّيتَه مِنَّا فتوفَّه على الإيمَان .

اللهم لا تَحْرِمنا أجْرَه ، ولاَ تُضِلَّنا بَعدَه .

الدُّعاء للطِّفل :

تقولُ بَعدَ حَمْدِ الله والصَّلاة على رسُوله :

« اللَّهم إنه عبْدُك ، وابنُ عبدِك ، وابنُ أَمتكَ ، أَنتَ خَلقته ، ورَزَقْتَه وأنتَ أمتَّه ، وأَنتَ تُحْييه ، اللَّهمَّ فاجعَلْه لِوَالديه سَلفاً وذُخراً وفَرَطاً وأجراً[1] ، وثقِّلْ به مَوازِينَهم ، وأعظِمْ به أُجُورَهم ، ولاَ تَحرِمْنا وإيَّاهم أجْره ، ولاَ تفْتِنَّا وإياهُم بعدَه . اللهم أَلْحِقْه بِصالِح سَلفِ المؤمنِين فى كَفالةِ إبراهِيمَ وأبدِلْه دَاراً خيْراً مِن دَارِه ، وأهْلاً خيْراً مِن أهلِه ، وعافِه من فِتْنةِ القبْر ومِن عَذابِ جَهنَّم .

(١) سلفاً وفرطاً : بمعنى ذخراً وأجراً .

للمناقشة :

(١) أينَ يَقِفُ الإمامُ إذَا كانَ الميِّت ذكراً أو أنثى ؟

(٢) لو أدركْتَ الإمام فى صَلاة الجَنَازة عنْد التكبيرة الثَّالثة فماذا تفْعل ؟

(٣) هلْ يُثابَ مَن شَيَّعَ الجنازةَ ولم يتمكنْ من الصلاة عليها ؟

(٤) وما مِقدارُ ثَوابِه ؟

الدَّرس العاشر

مَواضِعُ النَّهيِ عَنِ الصَّلاة

نَهى رسولُ اللهِ (ص) عن الصَّلاةِ فى سَبْعَةِ مَواضعَ كما روَى سيِّدُنا عبدُ اللهِ[1] ابنُ عُمَرَ بنِ الخطَّاب رَضىَ اللهُ عنه : وهذِه هِىَ :

(١) الصلاةُ فى المَقْبَرة :

قالَ عليه السلام : « لعنَ اللهُ اليَهودَ والنَّصارَى اتَّخذُوا قُبورَ أنبيائهم مَساجد » . وقالَ : « إنَّ مَن كانَ قَبْلكم كانُوا يتَّخِذُون قُبورَ أنبيائهم وصالِحِيهم مَساجد ، ألاَ فلاَ تتَّخذُوا القُبورَ مَساجدَ إنِّى أنهاكم عنْ ذَلك » . وسببُ النَّهى فى هذَا الخَوْفُ مِن المُبالَغةِ فى تَعْظيم صاحِب القَبْر حتَّى لا يُؤدِّىَ ذلكَ إلى الكُفْر .

(٢) الصَّلاةُ فى قارِعة الطَّريق :

وقارِعَةُ الطَّريق وسَطُهُ . وسَبَبُ النَّهى فيهِ لأن كَثْرة حرَكةِ المرورِ فيهِ ، تَسْتَدْعِى أن يكونَ موطِناً للنَّجاسة .

(٣) الصَّلاة فى المَجْزَرَة : لأنها موضِعٌ للدماء والأوساخ وهى نجسة كذلك .

---

(١) روى عبد الله بن عمر أن النبي عليه السلام نهى أن يصلى فى سبعة مواطن : فى المزبلة والمجزرة والمقبرة إلخ . . .

(٤) الصلاة فى الحمَّام : لأنه مَوضِعُ إزالةِ النَّجاسة والأوساخ .

(٥) الصلاةُ فى المَزْبَلَة : لأنها موضع نجاسة .

(٦) الصلاة فى مَعاطن الإبل ؛ ومعاطنُ الإبل هِىَ المَواضعُ التى تَبْرُكُ عليها بَعدَ شُرْبِ الماء .

(٧) الصلاة فَوْقَ الكَعْبة :

لأن المصلِّى فوْقَ ظَهْرِ الكعْبة ، يَفقِدُ شَرْطًا هامًّا منْ شرُوطِ الصلاةِ ، ذَلِك هُوَ اسْتِقْبالُها . وإذا عَرَفْنا أنّ هذِه الأمْكِنَةَ التى نَهَى رَسُولُ اللهِ عن الصلاة فِيها ، فما هِىَ الأزمنةُ التى يَنْهَى عَنِ الصّلاة فيها كذلك ؟ ؟

وللإجابة عَنْ هذا السُّؤال نَقُولُ : إنَّ الأزمنةَ التى نَهى الرَّسولُ فِيها عَنْ الصَّلاة هِى :

(١) عِنْد طُلوع الشَّمْس حَتى تَرْتَفِعَ .

(٢) عِنْد غُرُوبها حتى تُصلَّى المغْرب .

(٣) عِنْد خُطبة الجُمعة .

للمناقشة :

(١) لماذَا نُهِىَ عن الصلاة فى هَذِه الأوقات ؟

(٢) مَا هِىَ الصلاةُ التى نُهِىَ عنْها فى هذِهِ الأوقات ؟ أهى صلاَةُ النَّفْل أمْ صلاَةُ الفَرْض ؟

(٣) مَا حُكْمُ التَّنفلِ بَعْد صلاَةِ العَصْر ؟

نشـــيد دينى

أَيُّهَا البَيْت[1]

أَيُّهَا البَيْتُ سَلاَمًا عُلْوِىَّ النَّفَحاتِ
تُرْبُك المَيْمُونُ قُدْسٌ شَاهِقٌ الحُرُمَاتِ
كُلُّ مَنْ مَرَّ عَلَيْهِ مَرَّ مَسْحُورَ السِّمَاتِ
هَرَعَ[2] النَّاسُ إِلَى بَا بِك مِنْ كُلِّ الجِهَاتِ
طَرَحُوا الدُّنْيَا وَخَفُّوا بِقُلُوبٍ نَادِمَاتِ
حُسَّرًا يَمْشُون لِلّه بأَيْدٍ ضَارِعَاتِ

(١) للشاعر محمود حسن إسماعيل .

(٢) هرع : قدم سرعاً .

وَصُدُورٍ حَانِيَـــاتِ[1] مِنْ عَذَابِ المَعْصِيَاتِ
وَقُلُوبٍ جَأَرَتْ[2] أَسْـ رَارُهَا بِالتَّلبِيَـــاتِ
وَجُفُونٍ مِنْ ضِيَاءِ الـ ـهِ دَارَتْ مُسْبَلَاتِ[3]
وَنُفُوسٍ قَانِتَـــاتٍ تَائِبَـــاتٍ عَابِدَاتٍ
ذَائِبَاتٍ فِي رَحِيقِ النُّـ ـورِ نَشْوَى[4] فَانِيَاتِ

* * *

سَيِّدَ الدُّنْيَا شَفِيعَ الحَـ ـقِّ ، سِرَّ الرَّحَمَاتِ
رَبِّ بَارِكْنَا بِهِ . . آصَالَنَا والغُـــدُوَاتِ
وابْعَثِ الشَّرْقَ بِنُورٍ مِنْـ ـهُ يَغْزُو الظُّلُمَـــاتِ

---

(١) حانيات : مشفقات .
(٢) جأرت : رفعت صوتها .
(٣) مسبلات : مغمضات .
(٤) نشوى : فرحة مسرورة .

الدرس الحادى عشر

صَلَاةُ السَّفَر

اعتنَى الإسلام بشأن الصلاة ، لأنها صِلةٌ بين العبدِ وربِّه ولأنَّ مُراقَبةَ المُسْلم ربّه ، وشُعورَه بِجَلالهِ وعظمتِه ، مِمَّا يغرِسُ فى نفسِه حُبَّ الخير والفضيلة . ومع هذه العناية بشأنها والاهتمام بِأمرها ، لم يجعل الله على المسلمين حَرَجاً فى أدائها ، ولا كلَّفهم بِما يَشُقُّ عليهم فى فرضِها ، بل رفع عنهم الحرج والإثم ، فقد سَهَّل على المريض كما عرفنا — أن يؤدِّيَها كما يستطيع قائماً أو قاعداً أو إيماء ، وتلك غاية اليُسر ، ونهاية التسهيل . ومن يُسرِ الإسلام أن شَرَع للمسافر تخفيف الصلاة ، ونُقصان ركعاتها ، مُراعاةً لِما يعانيه من مشقةِ الأسفار ، وعناء الارتحال .

مشرُوعية صلاةِ السفر :

شُرِعت صلاةُ السفر فى السنةِ الرابعةِ من الهجرة ، وقد سَنَّها الرسول عملاً وقولاً ، وكذلك داوم عليها الصحابةُ من بعده ، كما جاء فى سُورة النِّساء قولُ الله تعالى : « وإذا ضرَبْتم فى الأرض فليسَ عليكمْ جُناحٌ أن تَقصُروا من الصلاة [1] .

وقال عبد الله بن عمر : صَحِبتُ رسول الله (ص) فكانَ لا يزيدُ فى السفر

---

(١) سورة النساء

على ركعتين فى الصلاة الرُّباعية . وقال النبى عليه السلام : « إنّ خيار أُمّتى من إذا سافرُوا قَصرُوا الصلاةَ » .

مسافةُ القصر :

المسافة التى يَقْصُر المُصلِّى فيها صلاته ، ينبغى أن لا تقِلّ عن واحدٍ وثمانين كيلومتراً كالمسافةِ بين محطة الخرطوم ومحطة الترابى — من قُرَى الجزيرة . إذا قطَع المسافر هـذه المسافة بوسيلةٍ سريعة كالطائرة والسَّيَّارة والقطار ، أو بطيئةٍ كالدّواب .

السَّفر الذى تَقصُر فيه الصلاة :

أن يكون سفرًا شَرْعِيًّا ، يَقصدُ فيه المسافر قَضاء مهمَّة من ضرُوراتِ الحياةِ لا لِسَرقةٍ ، ولا لِقطع طرِيق . . مَثلاً . . .

الصَّلوات التى تُقْصَر :

الصلواتُ الرُّباعية ، هى التى يَقصُرها المُسافر .

فيُصلى الظُّهر ركعتين .

ويُصلِّى العصر ركعتين .

ويُصلِّى العِشاء ركْعتين .

أما صلاةُ الصُّبْح وصلاةُ المغرب فتبقيانِ على حالِهما .

مَتَى ينتهى أمَدُ القَصر ؟

وتنتَهِى عمليَّة قَصرِ الصلاة حِينَمَا يَرْجِعُ المسافِر إلى بلده ، أو ينوِى إقامةَ أربعةِ أيامٍ[1] فأكثر فى غير بَلَدِه ، وعليه أن يُتِمَّ الصلاة حِينئذٍ .

حُكْمُ قَصْرِ الصَّلاة :

سُنة مؤكدة . فعلَى المُسافر أن يَرْعَى هذه السُّنة وأن يُحافِظَ عليها ، فهى صَدَقَةٌ تفضَّل الله بها على عباده ، فليتقبلوا صدقته .

للمناقشة :

(١) قمت مع زملائك فى رحلةٍ مدرسية قضيتم فيها ما يزيد على مسافة القصر . فما حكم قصر الصلاة فى هذه الرحلة ؟

(٢) سافرتَ من الخرطوم فى تمام العاشِرة صباحاً ووصلتَ الأبيّض عند الثَّانية ظُهرًا . فكيف تصلى الظهر ؟

---

(١) أربعة أيام : يصلى فيها عشرين صلاة .

نَشِيدٌ عَرَبِيٌّ

نَحْنُ إِخْوَةٌ

من قصيدة « تونس المجاهدة » للشاعر المصرى الأستاذ محمد الأسمر

حَيِّ فِى تُونُسَ شَعْباً عَرَبِيّـا ... هَبَّ إِعْصاراً على الباغِى عتِيّـا

يَا « بنِى الغَرْب » كَفَى خَتْلاً[1] كَفَى ... لَمْ يَعُدْ أَمْرُكُم سِرًّا خَفِيّـا

كَمْ وُعُودٍ لَكُمُ مَمْطُولَةٍ[2] ... أَيُّكُم كانَ مع الناسِ وفيًّا ؟ ! !

إِنَّما أَنتم جَمِيعـاً دُوَلٌ ... تَحْكُمُ العالَمَ حُكْماً « قَيْصَرِيًّا »

لَيسَ فِيكم مَن يَرانا أُمَماً ... كُلُّكم يطْلُبنا أَكْلاً شَهِيًّا

أَكذا الإِنْجِيلُ قَدْ علَّمكم ؟ ؟ ... أَكذا مَا قُلتُم عنهُ رُقِيّـا

نحنُ فى الدُّنيا جميعاً إِخْوَةٌ ... فاغْرِسُوا فِيها الوِدَادَ الأُخوِيَّا

وأَقِيموا العدلَ فى أَرجائِها[3] ... يَعِشِ الكُلُّ بِها عَيشاً هنِيّـا

* * *

---

* مجلة « المسلمون » .

(١) ختلا : خداعاً وكذباً .

(٢) ممطولة : مؤخرة .

(٣) أرجائها : أنحائها .

قال عمرُ بنُ الخطاب لكُتَّابه وعُمَّاله :

« إنَّ القُوة على العَمل ألَّا تُؤخِّروا عمَل اليومِ إلى الغَد ، فإنَّكم إذا فَعلْتمْ ذلك تكاثرتْ عليكمُ الأعمالُ ، فلا تَدْرون بأيها تَبدأون ولا بأيها تأخذون » .

(الطبرى)

وَصـــــية

قال رسول الله (ص) :

أوصانى رَبِّى بتسْع :

الإخلاصُ فى السرِّ والعلانية .

والعَدْلُ فى الغضَب والرِّضى .

والقصْدُ فى الفَقْرِ والغِنَى .

وأن أعفُوَ عَمَّنْ ظلَمنى ، وأصِلَ مَنْ قَطَعَنى ، وأُعطِى مَنْ حَرمنى ، وأن يكونَ نُطْقِى ذِكْرًا ، وصَمْتِى فِكْراً ، ونَظَرِى عِبْرةً .

(٤)

شخصيات إسلامية

١ – حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ

أَسَدُ اللهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ

إسْلَامُ حَمْزَةَ :

عَادَ حَمْزَةُ مِنْ قَنْصِهِ مُتَوشِّحاً قَوْسَهُ ، ومنْ عَادَتِهِ أنَّه إذَا رَجَع لَمْ يَذْهَبْ إلَى أَهْلِهِ حَتى يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ ، ويَتَحَدَّثَ ويَتَنَدَّرَ معَ مَنْ يَجِدُهُمْ فِيها ، وبَيْنما هوَ مُتَوجِّهٌ نحوَ الكَعْبَةِ ، اقْتَرَبَتْ منْهُ مَوْلاَةٌ لِعبْدِ اللهِ بنِ جُدْعانَ ، وقالَتْ : « وَاذلاَّهُ يا بَنِي عبدِ مُنافٍ ، يا أَبَا عِمارَةَ ! لوْ رَأَيْتَ ما لَقِيَ ابْنُ أخيكَ مُحمدٌ مِنْ أَبِي الحَكَمِ بنِ هِشامٍ ، وَجَدَهُ هٰهُنا جالِساً فآذاهُ وسَبَّه ، وبَلَغَ ما يكْرَهُ » .

وهُنا ازْدَادَ الغَضَبُ بِحمْزَةَ : ماذَا فَعَلَ مُحمدٌ حتَّى يَلْقَى كلَّ هذَا ؟ ثمَّ أَخذَ طَرِيقَهُ لاَ يلْوِي عَلَى أحـدٍ مُعِدًّا لأَبِي جهْلٍ إذَا لَقِيَهُ أَنْ يُوقِـعَ بِهِ فلمَّا دخلَ المَسْجِدَ نَظَرَ إلَيْهِ جالِساً فِي القَوْمِ ، فأَقْبلَ نحوهُ حتَّى إذا قامَ عَلَى رَأْسِهِ ، رَفَعَ القوْسَ ، وضَرَبَهُ بِهَا ضَرْبَةً شَجَّتْ رأسهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً ، ثم صاحَ فيهِ : « أَتَشْتُمُه ؟ ! ! فأَنا عَلَى دِينِهِ أَقُولُ ما يقول ، فَرُدَّ عليَّ إنْ اسْتَطَعْتَ » ، فَقَامَ رجالٌ منْ بَنِي مَخْزُومٍ إلى حَمْزَةَ لِينْصُرُوا أَبَا جَهْلٍ ، وهُنا وقَفَ حَمزَةُ مَوقِفَ الضَّرْغامِ الأَبِيِّ مسْتعِدًّا

لِلقتالِ ، فقامَ أبو جَهلٍ وقالَ : دَعُوا أبا عِمارَةَ ، فإنِّى — واللهِ — لقد سَبَبتُ ابنَ أخيهِ سبًّا قبيحاً .

هِجْرَةَ حَمزةَ :

هاجرَ حَمزةُ منْ مَكَّةَ إلى المَدينَة تاركاً تِلْكَ المجالسَ التى قضى فِيها أيامَ شبابِهِ ، وتِلْكَ الأودِيةَ التى عاشَ فِيها لاهياً مُتنعِّماً ، ونزلَ فى المَدينةِ فقيراً لاَ يَملكُ شيئاً سِوى إيمانهِ وهُوَ لَدَيهِ الحياةُ كلُّها وما بعدَ الحياةِ ، ولمّا آخَى رسولُ اللهِ (ص) بينَ المُهاجرِين كانَ حمزةُ وزَيدُ ابنُ حارِثةَ مولَى رسولِ اللهِ (ص) أخوَيْن ، ولقَد رَضِى السيِّد القُرَشِىُّ بهذَا الإخاء ، كَيْف لاَ ، والإسْــلامُ قد مَحَا الفُروقَ بينَ الأجناسِ والقَبائلِ ، لاَ فَضْلَ لِعَرَبِىٍّ على أعْجَمِىٍّ إلاَّ بالتَّقوى : « إنّ أكْرَمَكُم عِندَ اللهِ أتْقَاكُمْ » ؛ وأقامَ حمزَةُ فى المَدينةِ حتى أذِنَ اللهُ للمُسْلمينَ فى القِتَالِ .

حمزةُ فى غَزوةِ بَدْرٍ (١) :

بدأَت الحربُ فى هذِه الغَزْوةِ بالمُبارزةِ كعَادةِ العَرَبِ فى بِدَايةِ حُرُوبِهم ، ونادَى مُنادِى قُريشٍ : « يا مُحمدُ نُريدُ أكْفاءَنا مِن قَوْمِنا » . فقالَ رسُولُ اللهِ (ص) : « قُمْ يا عُبيْدَةُ — قُمْ ياحمزَةُ — قُمْ يا علىُّ . وصاحَ عَتْبةُ بنُ رَبيعَةَ : مَنْ أنتُمْ ؟ فأجابهُ حمزَةُ : أنا حمْزةُ أسَدُ اللهِ

(١) كانت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة .

وأسدُ رسُولِهِ ، فتبارزُوا فقتلَ حمزةُ وصاحِباهُ المُشركِينَ ، ثمّ تزاحفَ الجمْعانِ وثارَ النَّقْعُ[1] ، وحمزةُ يفتكُ بالمشركينَ فتكاً ذريعاً ، فتنهارُ الكتائبُ وتفزعُ الأبطالُ ، فيختلطُ حابلُهُمْ بنابلِهِمْ[2] ، ويُولونَ الأدْبارَ .

عَوْدةُ قُرَيْشٍ :

عادَتْ قُرَيشٌ منْ هذِهِ المعركةِ الحاميةِ بالخِزْيِ والعارِ ، ومُنادِيهِمْ ينادِي : « لَقَدْ أذَلَّ حمزةُ بنُ عبدِ المطّلبِ شرفكُمْ ووَضَعَ قدركُمْ وجعلَكُمُ الأذلّةَ المُسْتعْبدِينَ فى الأرضِ ، ماتَ بيدَيْهِ صفْوةُ رِجالكُمْ وأصحابُ الصّدارَةِ فى مُنْتدياتكُمْ ، فيالثاراتِ قُرَيشٍ ! ويَا لأحْقادِها الكامِنَة ! ! ! » .

غزْوةُ أُحُدٍ « فى السنة الثالثة من الهجرة » :

سارَ جَيشُ المُسْلِمين حتى بلَغَ أُحُداً ، واجْتازَ مسالكَهُ ، وجعلَهُ على ظَهرِهِ وهُناكَ شرَعَ الرَّسولُ (ص) يُنفِّذُ خُطّةَ الهُجومِ ، ويُنظِّمُ الجيْشَ ، فأوقفَ الرُّماةَ وهُمْ خمْسُونَ على طَريقِ الجبَلِ ، وقالَ لأميرِهِمْ عبدِ اللهِ بنِ جُبيرٍ : « انْضَحِ الخيْلَ عنّا بالنَّبْلِ ، لاَ يأتُونا

---

(١) النقع : الغبار .

(٢) اختلاط الحابل بالنابل تعبير يقصد منه الارتباك والاشتباك .

مِنْ خَلْفِنا ، إنْ كانَتْ لنَا أو علَيْنَا ، فاثْبُتْ مَكانَكَ لا نُؤتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ » .

جَيْشُ قُرَيْشٍ :

نَظَّمَتْ قُرَيْشٌ صُفوفَها على حَسَبِ خُطَّتِهِمْ ، وَجعلَتْ نِساؤُهم يَمْشِينَ خِلالَ الصُّفوفِ يَضْرِبْنَ الدُّفُوفَ والطُّبولَ وهُنَّ يَقُلْنَ :

إنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَفْرِش النَّمَارِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وأُستَعَدَّ الفَرِيقَانِ لِلقِتَالِ ، وكلٌّ يُحَرِّضُ رِجَالَه ، فأَمَّا قُرَيْشٌ فَتَذَكَّرُوا بَدْراً وقَتْلاهَا ، وأَمَّا المسْلِمونَ فَيَذْكُرونَ اللهَ ونَصْرَهُ .

حَمْزَةُ فى غَزْوَةِ أُحُدٍ :

ولمّا بدَأَتِ المَعْرَكةُ صَاحَ حَمْزةُ صَيْحَةَ القِتَالِ يَوْمَ أُحُدٍ وهِىَ : « أَمِتْ . . . أَمِتْ » ، وانْدَفَع إلى قَلْبِ جَيْشِ الكفَّار يَضْرِبُ بسَيْفِه يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، لقَدْ كانَ حقًّا البَطَلَ الشجاع ، كَمَا كانَ فى غَزْوةِ بَدْرٍ؛ وقَدْ تغلَّبَ جَيْشُ المُسْلمينَ فى أوَّلِ الأمرِ ، ولكِنَّ انْشِغَالَ المُسلِمينَ بالغَنائِمِ وتَرْكَ الرُّماةِ أماكِنَهُم مَهَّدَا الطَّريقَ للهُجُومِ عليْهِم بقِيادَةِ خالدِ ابْنِ الوَليدِ ؛ فأَجْلُوا الرُّماةَ ، وشَرعُوا فى جيْشِ المسلِمينَ ضَرْباً وقتْلاً ، وصاحَ صَائحٌ بالنَّاسِ : إنَّ مُحمَّداً قدْ قُتِلَ ، فازْدَادتْ الفَوضَى وضَعُفَتْ

العزائمُ واندفعَ الكفَّارُ إلى الناحيةِ التى كانَ فيها الرَّسولُ (ص) ، وهُناك أحاطَ المُسلمُونَ برَسُولِهم وقائدِهم يُدافِعون عنه ، ويَحمُونَه ، وقد كانَ من المُدافِعين السيدة نُسَيْبَةُ بنتُ كَعْبٍ ، التى عرفْتَ جِهادها وبلاءها فى السنةِ الرابعةِ الأُوليةِ .

مَصْرعُ الأَسدِ :

كانَ لُجَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ عبدٌ حَبشىٌّ فأغْراهُ بقَتْل حمْزةَ تشفِّياً وانتِقاماً ، ووعدَه إن فعل ذلك بالعِتْق . وهَا هُو ذا وحْشىٌّ يُحدِّثُ عن قصة اغتياله لحَمْزةَ فيقول : « خَرجْتُ معَ الناس ، وكُنتُ رجُلاً حبَشيًّا أقذِفُ بالحربةِ قذْفَ الحبشةِ قلَّما أخطئُ بها شَيئاً ، فلما التَقى الناسُ خرَجْت أنظرُ حمزةَ ، وأتبصَّرُه حتى رأَيتُه فى عرْض الناس مثل الجَمَل الأَوْرق[1] يهدُّ[2] الناس بسيفه هدًّا ، فهَزَزتُ حرْبتى حتى إذا رضِيتُ عنها دفعتُها عليه فوقعَتْ فى ثُنَّتِه[3] حتى خرجتْ من بين رجْلَيه ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيتُهُ فأخذتُ حرْبتى ورجعتُ إلى المُعسكَر ، وقعدتُ فيه ، ولم يكُنْ لى بغَيْره حاجةٌ ، وإنما قتلْتُه لأُعتَق ، فلما قَدِمْتُ مكةَ أُعْتِقْتُ » .

---

(١) الجمل الأورق : الجمل الأبيض .

(٢) يهد الناس : يقتل الناس .

(٣) ثُنته : ما بين السرة والعانة . وهى عندنا فى السودان « التتة » بكسر التاء .

حَمْزَةُ فى القَتْلَى :

انصرَفتْ قريشٌ بَعد أن دَفنَتْ قتْلاَها ، وعاد المسلمون إلى الميـدان لِدفْن قَتْلاهم ، ولما رأى الرسولُ (ص) عَمَّه حمزةَ قد بُقِر بطْنُه ، ومُثِّل به حزِن منْ أجْلِه أشدَّ الحُزْنِ ، وقال : « لن أُصـاب بمثْلكَ أبداً ، ما وقَفْتُ موْقفاً أغْيظَ إلىّ من هذا » ، ثم قال : « واللهِ لئنْ أظْهرَنا اللهُ عليهم يوماً من الدهر لنُمثِّلَنَّ بهم مُثْلَةً لم يُمثِّلْها أحـدٌ من العرب » . وفى هذا نَزَل قول الله تعالى : « وإن عاقبْتُمْ فعاقبُوا بِمثْلِ ما عُوقبْتُم به ، ولـئِن صبَرْتم لَهُو خيرٌ للصَّابِرين واصْبِر وما صـبْرُك إلاَّ بالله ، ولاَ تَحزَنْ عَليْهم ، ولا تَكُ فى ضَيقٍ مِمَّا يمْكرُون . إنَّ اللهَ مَعَ الَّذين اتَّقَوْا والذين هُم مُحْسِنُون » . فعفَا رسولُ الله (ص) وصبرَ ونَهى عن المُثْلَةِ . وهذا كعبُ بنُ مالكٍ يبْكى حمزةَ رضى اللهُ عنه :

قَرْمٌ تمَكَّن فى ذُؤابة هاشمٍ ... حيثُ النبوةُ والنَّدَى والسُّؤْدَدُ[1]

والعاقِرِ الكُومَ الجلاد إذا غَدَت ... ريحٌ يكادُ الماء مِنْها يجمُدُ[2]

والتاركُ القِرنَ الكَمِىّ مُجَدَّلاً ... يومَ الكريهةِ والقنا يتقصَّدُ[3]

شرح الكلمات فى أبيات كعب بن مالك

(١) قَرمٌ : سيِّدٌ . ذُؤابةٌ : أصلٌ .

(٢) الكُومَ الجلادَ : النِّياقَ الضَّخْمةَ القويَّةَ ، المُفْرَدُ « كوماء » .

(٣) القِرْن الكمى : الفتى الشُّجاعُ . مُجدَّلاً : مَصْرُوعاً على الأرْضِ .

يتقصَّدُ : يتكسَّرُ .

بهذا الجِهادِ المتواصلِ انْطَوَتْ تِلكَ الصَّفْحَةُ النَّاصِعةُ مِنْ حياةِ سيِّدِ الشُّهَدَاءِ حمزةَ بنِ عبدِ المطّلبِ رضَى اللهُ عنه .

أَجبْ عمَّا يأتى :

فى أبيات كعب صفتان يَحسُنُ أن تَتَحلَّى بهما فما هما ؟

٢ ـ أُسَامَةُ بنُ زَيد
حِبُّ رَسُولِ اللهِ وابنُ حِبِّهِ

حَجَّةُ الوَدَاع :

فى الخامِس والعشرين من ذى القَعدة من السنة العاشرة لِلهجرة سارَ النبيُّ (ص) وعددٌ غفيرٌ من أصحابهِ ، قاصدين البيتَ الحرامَ لِيُؤَدُّوا فَرِيضةَ الحَجِّ ، ولمَّا تَمَّتْ حَجَّةُ الْوَداعِ ، وآنَ لِعَشَراتِ الأُلوفِ مِمن صَحبوا النبيَّ (ص) أَن يَعودُوا إلى ديارهم ، فَأَنجد مِنهم أهلُ نجدٍ ، وأَتْهمَ أهل تِهامة ، وانحدَر إلى الجنوبِ أهلُ اليمنِ وحضرموتِ وما جاورهُما ، وسار النبى (ص) وأصحابهُ إلى المدينةِ ، ولم يَطُل بهِم المقامُ بعد عودهم حتى أمَرَ الرَّسول (ص) بتجهيزِ جيشٍ جرَارٍ إلى غَزو الشامِ ، واختارله المهاجِرين الأوَّلينَ ، ومنهم أبو بَكرٍ وعمرُ رضى الله عنهما ، وأمَّرَ على هذا الجيشِ أُسامَةَ بنَ زيْدِ بنِ حارِثةَ ، وكان شابًّا لم يتجاوَزِ العشرينَ من عمره ، وفى ذلك ما يبعثُ فى نفُوسِ الشباب القوَّةَ ، ويدرِّبُهم على القيام بالأعباءِ الجسيمة ، وقد كان أُسامةُ مِثالَ الشجاعة والإقدامِ منذُ نشأتهِ حتى انضَمَّ إلى جيش المسلمين فى طريقهم إلى أُحُدٍ ، ولـكنهُ أُعِيدَ إلى المدينةِ قبلَ بداية المعركةِ لِصِغَرِ سِنِّه ، ثم إنه أبلى بعد ذلِكَ فى غزْوةِ حُنَينٍ أنبلَ البلاءِ وثبتَ فيها ثباتَ الأبطالِ الصناديد ؛ وأمرَ الرسولُ (ص) أسامَةَ

أن يُوطِئَ الخيلَ تُخُومَ البلقاء من أرضِ فِلَسْطينَ على مقرُبةٍ منْ مُؤتَةَ ، حيثُ قُتلَ أبوهُ — شَرَع القائد الشابّ وجيشُهُ يتجهّزون للزّحفِ على أرض فِلَسطينَ ، وإنّهمْ لَفِى أستعدادِهم إذْ مرِضَ الرّسولُ صلى الله عليه وسلم فحالَ مرَضُه دون مَسيرِهمْ ، ثمّ موتُهُ ، ولم يَكَدِ المسلمونَ يَفرُغون من دَفن الرسول (ص) حتى أمر أبو بكرٍ الصديقُ الخليفة الأولُ أن يذهبَ جيشُ أُسامةَ لِلغزوِ تنفيذاً لأمر الرسول (ص) ، ولما تحرّكَ الجيشُ خرج أبو بكر ماشِياً لتوديعِهِ وأُسامةُ راكِبٌ على صَهوةِ جواده . فقال أُسامةُ : يا خليفةَ رسول اللهِ لَتركَبَنّ أوْ لأنزِلَنّ فقال : والله لاَ نزَلتَ ولا أركبُ ، وما عليّ أنْ أُغبّرَ قدَميّ ساعةً فى سبيلِ الله ؟ ! وبلغَ من إكبارِ أبى بكرٍ لِلقائدِ أن قال له : إن رأيتَ أن تُعينني بعمرَ فافعلْ .

وَلَمْ تمضِ عشرونَ يوماً على مسيرةِ الجيش حتى أغارَ على البلقاء ، وحتى انتقمَ القائدُ ابنُ القائدِ للمسلمينَ ولأبيهِ الذى قُتِلَ بِمُؤتَةَ ، وكانت صيحةُ الحربِ فى تِلك الأيامِ المشرقةِ : « يا منصورُ أمِتْ » ؛ وكَذلكَ نفّذ أبو بكرٍ ونفّذَ أُسامةُ أمر النبى (ص) وعاد بالجيشِ إلى المدينةِ ممتطِياً الجوادَ الذى قُتِلَ أبوهُ بِمؤتَةَ عليه ، يتقدمه اللواء الذى عقده له الرسول (ص) بيده ، فتلقّاهُ أبو بكر ، وكان قد خَرَج فى جماعةٍ من كِبار المهاجرين والأنصار لِلقائهِ وكلهمْ فَرِحٌ مُتهلّلٌ ، ودخَلَ أسامةُ المدينةُ تُحيطُ به هَالةٌ من فخار النصر ، فقصدَ من فَوْرِه إلى المسجدِ حيثُ صلى شُكرًا للهِ على ما أنعمَ عليه وعلى المسلمينَ .

قِيادةُ أُسامةَ :

أبو بكر : إلىَّ أيُّها المسلمونَ ! إلىَّ أيُّها المسلمونَ ! بشراكمْ أيُّها الناسُ ، بشراكمْ أيُّها الناسُ . الإسلامَ ، الإسلامَ ! لَقَدْ أَتَمَّ اللهُ لجنودِنا النصرَ المبينَ في حربِ المرتدِّين ، ولم يعدِ الآنَ في جزيرةِ العربِ مَنْ لا يقولُ : « لآ إلهَ إلاَّ اللهُ » . والآنَ اسمعوا أيُّها الناسُ ، علمتمْ أنَّ بنى غَسّانَ كانوا قد قتلوا رسولَ النبيِّ إليهم ، وعلمتمْ أنَّ النبيَّ (ص) كان قد أعدَّ جيشاً لِحَرْبِهِمْ ولكنه مات قبلَ أن يُرسِلَ الجيشَ ، فهل نقبعُ في دِيارِنا ونترُكُ ثأرنا ؟

الجميعُ : لاَ ، لاَ .

أبو بكر : أيُّها الناسُ لقد أمرنا اللهُ بالجهادِ فهل أنتم مستعدونَ .

الجميع : نعمْ مستعِدُّون ، نعم مُستعِدُّون ، نعمْ مُسْتعِدُّون .

أبو بكر : بارَكَ اللهُ فيكم يا جُنودَ الرحمنِ ، وهأنذا قد كوَّنتُ الجيشَ ، وجعلتُ على رأسه أُسامةَ ، وغداً إن شاء اللهُ سيسير على بركةِ اللهِ .

رجلٌ : يا خليفة رسولِ اللهِ ، واللهِ لو أمرتنا أن ننزلَ البحرَ في سبيلِ اللهِ لَنَزَلْنا ، ولكن كيفَ تُرسِلُ هذا الجيشَ وهو كلُّ ما نملِكُ ؟

أبو بكرٍ : واللهِ لا بُدَّ أن أنفذَ مشيئةَ النبيِّ وأنْ أُرْسِلَ هذا الجيشَ ،

ويفعلُ اللهُ بعد ذلك ما يشاء .

رجلٌ آخرُ : وماذا تفعلُ لوْ هاجمكم المشركونَ ؟

أبو بكر : والذى نفسى بيدهِ لوْ اجتمعت الذئابُ والسباعُ لِتأكلنى ، وكنتُ أعْلمُ أنّ هذا الجيشَ يحمينى لما رَجعتُ عن عزيمتى ، ولَنفَّذْتُ مشيئةَ النبىّ .

الجميعُ : نحنُ جُنودُكَ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : حَسَناً حسناً ، وغداً إن شاء اللهُ سيسيرُ الجيشُ على بركةِ الله ، واللهُ المستعانُ ، والآنَ أينَ أسامةُ .

أسامة : لبَّيكَ يا خليفةَ رسولِ الله .

أبو بكر : أأعددْتَ للجيشِ عُدَّتهُ .

أسامةُ : أجَلْ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : وجنودُك ، ما رأيكَ فيهم ؟

أسامة : كلُّ واحدٍ منهم يَعدِلُ عشرَةً من الكفّارِ بإذنِ اللهِ .

أبو بكر : ورُوحُهم يا أسامةُ .

أسامة : عاليةٌ جدًّا ، وليسَ أحبَّ إلى أحدِهِمْ إلاّ أن ينالَ النَّصرَ أو يموتَ فى سبيلِهِ .

أبو بكر : أين عمر بن الخطاب ؟

أسامة : إنّه بين الجنود يحملُ عُدَّته ويستعِد للحرب ، أتريدُ رُؤيته ؟

أبو بكر : لِى رجاء عِندك يا أسامةُ .

أسامة : بلْ أمرٌ تأمرُهُ يا خليفةَ رسولِ اللهِ .

أبو بكر : إنكَ تعلمُ يا أسامةُ أن عمرَ وزيرِى ، أستشيرُه فى أُمورِ المسلمينَ ولا غَناءَ لِى عنهُ وأريدُ أن يكون بجانبي فى المدينة فإن رأيتَ أن تُعِينَنى به فافْعلْ .

أسامة : أمرُك يا خليفةَ رسول الله .

أبو بكر : لاَ يابنَ أَخى ، إنك قائِدُ جيوشِ المسلمينَ وليس لنا أن نفعلَ شيئاً إلاَّ بأَمرِك .

أسامة : يا عمرُ يا عمر ؟

عمر : فى خِدمتِك أَيُّها القائدُ العظيمُ .

أسامة : ارجع يا عمرُ مع خليفة رسول اللهِ إلى المدينةِ فإنه فى حاجةٍ إلى رأيك ومشورَتِك .

عمرُ : وأُحرَمُ من الجهاد فى سبيلِ ألله ؟

أبو بكر : سَنجاهدُ برأيكَ يا عمرُ ، والجهادُ بالرأيِ قد يكونُ أعظمَ منَ الجهاد بالسيف .

عمر : وهذا السيفُ يا أبا بكرٍ أغمدُهُ بعد أن امتشَقتُهُ ، لقدْ وهبت نفسِى يا أبا بكر للإسلام فلا تحرِمنى من نعمةِ لقاء ربِّى شهيداً . يا أَبا بكر إنَّك لتَعلمُ أنِّى مُشْتاقٌ لِلُقاءِ رَبِّى . ولا تحرمنى أملِى

أبو بكر : إنَّ حُسْنَ رأيكَ أحدُّ من سيفِك ، تعالَ معى فقدْ كتبَ اللهُ لكَ ثوابكَ كاملاً .

عمرُ : يا ربِّ إنكَ أعلمُ بسرِّى وجهرِى ، وإنك تعلمُ أنه لم يكن أحبُّ إلىَّ من العملِ على نُصرةِ دِينِكَ أو الموتِ فى سبيله ولكنى نازلٌ على أمرِك بإطاعةِ أُولى الأمرِ فينا : (يُشيرُ إلى أبى بكرٍ ويبكى) .

أبو بكر : لا تبكِ يا عمر فقد كتبَ اللهُ ثوابكَ ! !

عمرُ : أخشى يا أبا بكر أن أموتَ على سريرِى كما يموتُ الجبناء ، أُريدُ أن أمحوَ ذُنُوبى بسيفى .

أبو بكر : لقد محتْ دُمُوعُك ذُنوبَك ، يا عمر إنَّها دُموعُ التقوى ، وإنَّ دَمعةً واحدةً منها يا عمرُ تكفيكَ أمتشاقَ السيف .

عمرُ : واللهُ ما أعتدتُ أن أبكىَ إلا خوفاً من الله .

أبو بكر : يا جُنودَ الرَّحمنِ ! إليكم وصيتى قبل أنْ ترحلوا . لا تخونوا ولا تغدِرُوا ، ولا تقتلوا طِفلاً ، ولا شَيخاً ، ولا امرأةً ، ولا تعقِروا نخلاً ، ولا تقطعوا شَجرَةً ، ولا تذبحوا شاةً إلاّ للأكل... سيروا على بركة الله .

أسامة : أيُّها الجنودُ ، هيَّا إلى الميدانِ ، إلى الحربِ ، إلى النصرِ ، أو إلى الجنةِ التى وعدَ اللهُ بها المتقين .

الجميع : (ينشدون نشيد الحرب)

نَشِيد الحَرب *

إِلَى الجِهَادِ زَحْفُنَا أُسْدَ العُرُوبَةِ جَمْعُنَا
اللهُ حَقَّقَ نَصْرَنَا فَلْتَخْضَعِ الدُّنْيَا لَنَا

* * *

إِنَّا سُيُوفُ الْحَقِ لَا نَرْضَى الْهَوَانَ لِشَعْبِنَا
رَغْمَ العَدُوِّ وَجَمْعِهِ خَضَعَتْ رِقَابُهُمُو لَنَا

* * *

إِنْ تَنْصُرُوا رَبَّ السَّمَا يَنْصُرْكُمُو بَعْد الْعَنَا
وَيُثَبِّتِ الأَقْدَامَ طُو لَ بَلَائِنَا وَجِهَادِنَا

* * *

دِينُ الإِلهِ طَرِيقُنَا بُذِلَتْ لَهُ أَرْوَاحُنَا
نَحْوَ الْجِنَانِ تَسَابَقُوا تَلْقَوْا بِهَا كُلَّ الْمُنَى

* * *

إِلَى الجِهَادِ زَحْفُنَا أُسْدَ الْعُرُوبَةِ جَمْعُنَا
اللهُ حَقَّقَ نَصْرَنَا فَلْتَخْضَعِ الدُّنْيَا لَنَا

---

* من كتاب تمثيليات للمسرح المدرسى بتصرف .

٣ ـ أَبُو دُجَانَةَ

صَاحِبُ العِصَابَةِ الحَمْرَاءِ

لقد آمنَ فارسُ الخَزْرجِ سِماكُ بنُ خَرَشَةَ إيمانَ الأقوياء ، فجَعَلهُ رسولُ الله (ص) فى الصَّدارةِ مِن بَينِ الصحابةِ ، فما أخذَتْهُ العزةُ ، ولا استولى عليهِ الغُرُورُ ، بل كان يسيرُ فى إطْرَاقةِ المُؤمنين وخُشُوعِ المُتَّقينَ .

أبُو دُجَانَةَ المُجَاهِد :

كان أَبُو دُجانةَ فى غزوةِ أُحُدٍ ، أَشبهَ ما يكونُ بالشُّعْلَةِ المُحْرِقَةِ والصَّاعِقةِ المُدَمِّرَةِ ، قال رسولُ الله (ص) وهو بين الصُّفوفِ ، وفى يَدِه سيفٌ : « من يأخُذُ هذا السيفَ بِحقِّهِ ؟ فقامَ إليهِ رجالٌ من أبطالِ المسلمين فأمسكه عنهم ، حتى قامَ إليــهِ أبو دُجانةَ فقال : وما حقُّهُ يا رسول اللهِ ؟ قل : أَن تَضرِبَ بِهِ العدُوَّ حتى يَنحنىَ ، قال : أَنا آخذُهُ يا رسولَ اللهِ بِحقِّهِ ، فأَعطاهُ إياهُ » ، وكانَ أَبُو دُجانةَ رَجُلاً شُجاعاً ، دَوَّى اسمهُ فى بَوَادِى العربِ ، وصحارِيها ، وكانتْ لهُ عِصابةٌ حمراء إذا اعتصبَ بها ، عَلِمَ الناسُ أنهُ سيُقاتلُ ، وقالوا : إنهُ أَخرج عِصابةَ الموتِ ، فأَخذَ السيفَ وأَخرجَ عِصابتهُ ، وعَصَّبَ

بها رأسَهُ ، وجعلَ يَتبَخْتَرُ بين الصَّفَّين على عادتِهِ ، إذ يختالُ عندَ الحربِ ، فلما رآهُ الرسولُ (ص) يَتبخْتَرَ قال : « إنها لَمِشْيَةٌ يُبغِضُها اللهُ إلا فى مثلِ هذا الموطنِ » . ولَمّا تَزاحفَ الجيْشَانِ ، وتَصافَحَت السيوفُ ، واشْتَجَرَت الرِّماحُ ، أخذ أبو دُجانةَ يَترنَّمُ :

أَنَا الَّذِى عَاهَدَنِى خَلِيلِى وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَّا أَقومَ الدَّهْرَ فِى الْكُبُولِ أَضْرِبْ بِسَيْفِ اللهِ وَالرَّسُولِ

والكُفَّارُ يَفِرُّونَ من حولِهِ كأنهمُ الْحُمُرُ الْمُسْتَنْفِرَةُ ، وهو يَصْرَعُ أبْطالَ قُرَيْشٍ لا يلقى بطلاً إلا جَنْدَلَهُ حتى شقَّ صُفوفَهُمْ ، وها هو ذا يتحدَّثُ فيقولُ : « رأيْتُ إنساناً يَخْمِشُ الناسَ خَمْشاً شديداً فَصمدْتُ لهُ ، فلما حَملْتُ عليهِ السيفَ ، وَلْوَلَ فإذا امرأةٌ ، فأكْرَمتُ سيفَ رسولِ اللهِ (ص) أن أضْرِبَ به امرأةً » .

أبو دُجانةَ والنِّبالُ :

لما خالف الرُّماةُ أمرَ رسولِ اللهِ (ص) فى غزوةِ أُحُدٍ وأَنزَلَتْ قُريشٌ بالمسلمينَ الهزيمةَ من جرَّاءِ ذلك ، وانسحبَ الجيشُ كان فى مُقدَّمةِ الثابتينَ مَعَ الرسولِ (ص) أبو دُجانةَ ، فإذا أقبلَتْ كتائبُ الكُفْرِ تَصَدَّى لها هو وعلىٌّ بنُ أبى طالبٍ فيقْضِيانِ على الكثيرِ منها ؛ ثم هجم الكُفارُ من كُلِّ جانبٍ على رسول الله (ص) يَقْذِفُونهُ بالنِّبالِ ، وهنا أقبلَ أبو دُجانةَ عليهِ وجعل نفسهُ تُرْساً له ، والنِّبالُ

تقع على ظهرِهِ وهو مُنحَنٍ لا يهتمُّ لوقعها ، ولا يألمُ لِفعلِها ، كيفَ وقد باعَ الرسولَ (ص) على الموتِ ، وَوهبَ لهُ نفسَهُ وروحهُ ، صائحاً بتلكَ الكلماتِ التى خلَّدَ التاريخُ رنينَها فطربَ به الجيلُ بعدَ الجيلِ : « نفسى دُونَ نفسِك ، وعينى دُون عيْنِك ، والسلامُ عليكَ غيرَ مُوَدَّعٍ » .

أبو دُجانةَ يُقاتلُ المرتدِّينَ :

لَمَّا ارتدَّتْ العربُ فى عهدِ أبى بكرٍ الصِّديقِ ، وعلىَ رأسِهم بَنُو حنيفةَ الذينَ كانوا يَسْكنونَ اليمامةَ ، سارَ إليهم جيشُ المسلمينَ ، فدَارت بينهم رَحى حربٍ زَبُونٍ[1] قَضَتْ على كثيرٍ من المُقاتلينَ ؛ وكانَ أبو دُجانةَ فى هذا العراكِ يَصُولُ صولةَ الأسدِ الضارى ، مُتذكِّراً عُهودَهُ الخوالى ، وأيامَهُ المَوَاضى التى لم يَتخلَّفْ فيها عن رسولِ اللهِ (ص) فى غزوةٍ من الغزواتِ ، فأبلى أحسنَ البلاءِ وصناديدُ بنى حنيفةَ يُهاجمونهُ كُتلاً مُتراصَّةً ، فَينكِّلَ بهم أشدَّ التنكيلِ ويُوردُهُم حياضَ المنيَّةِ ، وهم فارُّونَ أمامَ جيشِ المسلمينَ المُظفَّرِ .

أبو دُجانةَ الشَّهيدُ :

ولَمَّا رأى أحدُ بَنى حنيفةَ أن جيشَ المسلمينَ يتعقَّبُ فُلولَهُم صاحَ بِهِم . « يا بنى حنيفةَ ! الحديقةَ ! . . . وكانت هذهِ الحديقةُ لِمُسيْلَمةَ

---

(١) حرب زبون : حرب حامية الوطيس .

الكَذّابِ وهيَ فسيحةُ الأرجاء ، مَنيعةُ الجدْرانِ كأنها الحِصْنُ ، تَحَصَّنَ مُسَيْلَمَةُ وقومُهُ بِها . أَفيُحاصرُهم جيشُ المسلمين وإنْ طالَ حصارُهم ؟ كَلّا ، إن هذا الجيشَ الباسِلَ يُريدُ النَّصرَ كاملاً ، ويُريدُهُ سريعاً أيضاً ، لذلكَ ألقى المسلمونَ أبْطَالاً منهم دَاخِلَ الحديقةِ ، وكانَ فى مُقدّمَتِهم أبو دُجانةَ ، فحاربَ حتى تمكّنَ الجيشُ من الدُّخولِ فى الحديقةِ . وفى تلكَ المعركةِ الحاميةِ كُسرَتْ قدمُه ، ولكنهُ لا يزالُ يُقاتلُ وقدْ أصابتْهُ جُرُوحٌ كثيرةٌ ، وفى تلك المعركةِ نفسها قُتِلَ صاحبُ العصابةِ ، وفارِسُ الخزْرَجِ . ولكنْ بعدَ أن خَرَّ الألوفُ من بنى حنيفةَ صرْعى فى تلكَ الحديقةِ التى عُرِفتْ فِيما بَعدُ بحديقةِ الموتِ ، وكانتْ تُدْعى حديقةَ الرَّحمن . قُتِلَ بَعدَ أنْ رأى انتصار المسلمينَ على أعدَائه . تلكَ كانتْ نهايةُ الفارسِ الذى دَوَّخَ الأبطالَ من جبابرةِ الصَّحْراء ، الفارس الذى كتَبَ لهُ التاريخُ فى صحائفِهِ الباقيةِ خلُودًا لا يَنتهى .

٤ ـ الزَّرْقَاءُ بنْتُ عَدِيٍّ الكُوفِيَّةُ

كانتْ منْ رَبَّاتِ الفصاحةِ والبلاغةِ والعقلِ والرَّأْيِ . ناصَرَتْ علىَّ ابنَ أبى طالبٍ يومَ صِفِّين (موضعٌ على شاطِئِ الفُرَاتِ من الْجانب الغرْبىِّ) . ولمّا تمَّ الامرُ لمعاوِيةَ ، قالَ لأصْحابِه : « أيُّكمْ يحفَظُ كلامَ الزَّرقَاءِ ؟ » ، فقالَ القوْمُ : « كلُّنَا نَحفظُهُ يا أميرَ المؤمنينَ » ، قالَ : « فما تُشيرُون علىَّ فِيها » : قالوا : « نُشيرُ عليكَ بِقَتلِها » ، قال : « بِئسَ ما أشَرتُمْ علىَّ بهِ ، أيَحْسُنُ بِمثلى أن يتحدَّثَ الناسُ أنِّى قتلتُ امْرأةً بَعْدَ ما مَلَكْتُ وصار الأمْرُ لى ؟ » ، ثمَّ دعا كاتبَهُ فى الليْل فكتَبَ إلى عاملِهِ فى الكُوفةِ ، أنْ « أوْفِدْ إلَىَّ الزَّرقاء ابْنَةَ عَدِيٍّ ، معَ ثِقَةٍ مِنْ مَحْرَمِها ، وجماعةٍ مِنْ فُرْسانِ قوْمِها ، ومهِّدْ لها وِطاءً لَيِّناً ، واسْتُرْها بِسِترٍ حَصِيفٍ » .

قُدومُ الزَّرْقاء :

ولمّا وصَلَ الكِتابُ ركِبَ العَاملُ إليها ، فأقْرأها الكِتابَ ، فقالَت : أمَّا أنَا فغيرُ زَائغةٍ عنْ طاعَتِه ، وإنْ كانَ أميرُ المُؤمنين ، جعَلَ المَشيئةَ إلىَّ فإنِّى لآنِيةٌ منْ بَلدِى هـذَا ، فحَمَلَها فى هَوْدَجٍ ، جَعلَ غِشاءَهُ مُبطَّناً بعَصَبِ اليَمنِ ثمَّ أحْسنَ صُحْبتَها .

وصُولُ الزَّرقاءِ :

ولمّا وصَلَت الزَّرقاء إلى مُعاوِيةَ دارَ بيْنَهما الحَدِيثُ الآتى :

مُعاوِيةُ : مَرحَباً وأهلاً، خَيرَ مَقْدِمٍ قَدِمَهُ وافدٌ ، كَيفَ حالُكِ يا خالَةُ ؟ وكَيفَ رَأيتِ مَسيرَكِ ؟

الزرقاء : خيْرَ مَسيرٍ كأنّى كُنتُ رَبِيبَةَ بيتٍ ، أو طِفْلاً مُمهَّداً .

مُعاوِيةُ : بذَلكَ أمرْتُهم ، فَهلْ تَعلَمينَ لِمَ بَعثْتُ إلَيكِ ؟

الزرقاء : سبْحَانَ الله ! أنَّى لِى بعِلْمِ مَا لَمْ أعْلم ، وهلْ يعلمُ ما فِى القُلوبِ إلاّ اللهُ ؟ !

مُعاوية : بعثْتُ إلَيكِ أنْ أسألَك ، أَلَستِ رَاكبةَ الْجَملِ الأَحمَرِ يَوْم صِفِّين ، بيْنَ الصَّفَّيْن ، تُوقدِين نارَ الحربِ ، وتُحرِّضينَ على القِتال ، فمَا حمَلَكِ على ذَلك ؟

الزرقاء : يا أميرَ المؤمنينَ ! قدْ ماتَ الرأسُ ، وبُترَ الذَّنَبُ ، والدَّهرُ ذُو غِيَرٍ ، ومَنْ تفكَّرَ أبْصَرَ ، والأمرُ يُحْدِثُ بَعدَهُ الأمرُ .

مُعاوِيةُ : صَدقْتِ ؛ فَهلْ تَحفَظِينَ كَلامَكِ يَوْمَ صِفِّينَ ؟

الزَّرقَاء : مَا أحْفَظُه .

مُعاوِيةُ : ولكنّى واللهِ أحْفَظُه ، فِى أبِيكِ ! لَقَدْ سَمِعتُكِ تَقُولِينَ : أيُّها النَّاسُ إنَّكُمْ فِى فِتْنَةٍ غَشَّتْكُمْ جَلابِيبَ الظُّلَمِ ،

وجَارَتْ بِكُمْ عَنْ المَحَجَّةِ ، فَيَا لَهَا مِنْ فِتْنَةٍ عَمياءَ صَمَّاءَ ، تَسْمَعُ لِنَاعِقِها ولا تُسْلِسُ لِقائِدِها ، إنَّ المِصْباحَ لا يُضِيءُ فِي الشَّمْسِ ، وَإنَّ الكَوَاكِبَ لاَ تُنِيرُ مَعَ القَمَرِ ، ألاَ إنَّ خِضَابَ النِّسَاءِ الحِنَّاءُ ، وخِضَابَ الرِّجَالِ الدِّماءُ . وَاللهِ يا زَرْقاءُ لَقَدْ شَرَكْتِ عَلِيًّا فِي كلِّ دَمٍ سَفَكَهُ .

الزَّرْقاء : أَحْسَنَ اللهُ بِشَارَتَكَ يا أَمِيرَ المؤمنينَ ، وأَدَامَ سَلَامَتَكَ ، مِثْلُكَ مَنْ بُشِّرَ بِخَيْرٍ وسَرَّ جَلِيسَهُ .

مُعَاوِيَةُ : أَوَ قَدْ سَرَّكِ ذلكَ ؟

الزَّرْقاء : نَعَمْ واللهِ لَقَدْ سَرَّنِى قولُكَ فأَنَّى لِى بِتَصْدِيقِ الفِعْلِ ؟

مُعَاوِيَةُ : وَاللهِ لَوَفاؤُكُمْ لهُ بعْدَ مَوْتِهِ أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ حُبِّكُمْ لَهُ فِى حَياتِهِ ! اُذْكُرِى حَاجَتَكِ .

الزَّرقاء : إنِّى قد آليْتُ على نَفْسِى أنْ لاَ أسأَل أميراً أَعَنْتُ عليهِ شَيْئاً أبداً . ومِثْلُكَ أَعْطَى مِنْ غَيرِ مَسأَلَةٍ ، وجَادَ مِنْ غَيرِ طَلَبٍ .

مُعَاوِيَةُ : صَدَقْتِ .

وأَحْسَنَ رِفْدَها ورَدَّها والذينَ مَعَها مُكْرَمِينَ ، وكَتَبَ إلَى وَالِى الكُوفَةِ بالوَصِيَّةِ بِها وَبِعَشِيرَتِها .

أَجِبْ عمّا يأتى : (١) بِماذَا تَصِفُ هَذِهِ المَرْأَةَ ؟

(٢) ما رأيُكَ فى رَدِّها على مُعاوِيَةَ ؟

٥ ـ أُمُّ زيادٍ الأَشْجَعِيَّةُ

غَازِيَةٌ غَزَتْ مَعَ النَّبِيِّ صلى اللهُ عليه وسلَّم يَوْمَ خَيْبَرَ ، وهى سادِسَةُ سِتٍّ نِسْوَةٍ ، فبلغَ النَّبِيَّ صلى اللهُ عليه وسلم ، فبعَثَ إليهِنَّ فقالَ : بإذنِ مَنْ خَرَجْتُنَّ ؟ فقُلْنَ لهُ : خَرَجْنا ومعَنَا دَوَاءٌ نُدَاوِى به الجَرْحَى ، ونُناوِلُ السِّهامَ ، ونَسْقِى السَّوِيقَ ، ونَغْزِلُ الشَّعْرَ ، ونُعينُ فِى سبِيلِ اللهِ ، فقالَ النبىُّ صلى اللهُ عليهِ وسلّم : أَقِمْنَ . فَلَمَّا فَتَحَ اللهُ خَيْبرَ قَسَمَ لَهُنَّ كَما قَسَمَ لِلرِّجالِ .

أَجِبْ عَمَّا يأتِى :

(١) هلْ تَرَى أَنَّ الإسْلامَ أَمَرَ أُمَّ زِيَادٍ وصُوَيحِباتِهَا بالجِهادِ أو أَنَّهن خَرَجْنَ مُتَطَوِّعاتٍ ؟

(٢) وما هُوَ رَأْىُ الإسْلَامِ فِى خُرُوجِ المرأةِ لِلْجِهادِ ؟

٦ ـ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ

السيدة فاطمة « الزَّهراء » صُغرَى بناتِ الرَّسول — عليه السلام — والأخريات هُنَّ : « زينبُ ، ورقية ، وأم كُلثوم » .

وُلِدَتْ هذه السيدةُ الجليلةُ بمكة ، وكانتْ قُرَيش تَبْنى الكعبَة ، وعُمْر النبى إذ ذاك خَمْسٌ وثلاثُون سنةً ، أى قبلَ أن تَنزِلَ عليه الرِّسالة بِخَمسِ سنين .

وكانتْ من أَحَبِّ النَّاس إلى أبيها ، يَحْنُو عليها ، ويَعْطِف قلبُه نحوَها ، ممَّا جعلَها تُبادِله هذه العاطِفة ، ولا تَبْتَعِد منه حتى حين كانَ يَخْرُجُ إلى مَجالس قريْشٍ ليُبَشِّر بِدَعوتِه ، ويَلقَى فى سبِيلِها ما يَلقَى من كَيْد الخُصوم وأذَى السُّفهاء .

رأتْ ذاتَ مرَّةٍ عُقْبَةَ بن أبى مُعيْط يَحْمِلُ سَلَى جَزُورٍ ويَدنو به مِنْ أبيها الَّذِى كانَ ساجداً فى الحَرَم يُناجِى رَبَّه ، وظَلَّتْ فاطمةُ تَرْقبُه فى خَوْفٍ وحذَرٍ حتَّى رأتْه يَقْذِفُه على ظَهْرِ أبيها ، وحينذاك أسرعتْ فأبعدتْه ، ودَعتْ عليه بِشَرِّ الدَّعَوَات ، ورفَع النبى رأسَه قائلا :

« اللَّهُم عَلَيْك المَلَأَ من قُرَيشٍ ! اللَّهُمَّ عَلَيْك أبا جَهْل بْنِ هِشَام ،

وعُتْبَة بن رَبيعة ، وشَيْبَةَ بن رَبيعةَ ، وعَقْبةَ ، بنَ أبى مُعَيْط ، وأُبَىّ ابن خلَف ! ! !

هِجْرَتُها :

عاشَتْ فى بيْتِ أبى طالِب ، وشَهِدَتْ بِعَيْنَيْها مَوْتَ أمِّها « خديجةَ » فَحَزِنَتْ عَلَيها أشدَّ الحُزْنِ ، وكانَ ممَّا ضاعَفَ حُزْنَها ، وزادَ فى ألَمِها ، أنَّها فارَقَتْ أباها الَّذى تُحِبُّه ، وتُؤثِرُه على نفسِها حِينما هاجَر من مكةَ إلى المَدينة ، ولَحَق بِه بعدَ ذَلك ابنُ عَمِّه علِىُّ بن أبى طالب . وبقِيَتْ فاطمةُ وأختُها أم كُلثوم حتَّى وفَد رسولٌ من أبيهما ، فَصَحِبَهما إلى يَثْرِب ، وأُغْلِقَتْ دارُ النبى بمكة ، غيرَ أنَّ رِحْلَةَ بِنْتَى النَّبِىِّ إلى حيثُ يُقيمُ أبوهما لم تَمُرَّ بِسَلام ، فمَا كادَت الراحِلَةُ تنفَصِلُ بهما منْ مكة مستقبلةً طَرِيق الشَّمال ، حتَّى طاردَهُما اللئامُ منْ مُشْرِكى قُرَيْش ، وتَقَدَّم « الحُوَيْرِثُ ابنُ نَقيذ » نحو راحلتهما فضَربَ البَعير بِسَوْطِه حتَّى أجْفَل ، وألقى بِهما إلى الأرض ، وكانتْ فاطمةُ يَوْمَئِذٍ ضَعيفةَ الجِسْم ، فتابعَتْ رِحْلَتها بِمَشَقَّة من أثر الوقْعَةِ على الأرض ، حتى وصَلَتْ إلى المَدينة ، وقَصَّت على أبيها ما حَدَث . ولَمْ يَنْسَ الرَّسول شخصية هذا المُشْرِك يَوْمَ الفَتْح الأكبَر — فأوصى بِقَتْله مَعَ مَنْ أوصى . وكانَ علىٌّ — زَوجُ السيِّدة فاطمة — هو الذى نفَّذَ هذه الوَصِيَّة .

زَواجُها :

هاجَرتْ « فاطمةُ بنتُ مُحمَّدٍ » إلى المدينة ، فاستقرَّتْ فى جِوارِ أبيها هانئةَ النفس ، ناعمَةَ البالِ ، وأكثرُ ما زاد سُرورَها وفَرْحَتَها أنها أحست بأن أباها فى أعزِّ موضع ، وأقدسِ مكان مِن رِجله . . . وكانتْ فاطِمةُ إذْ ذاك قد قاربَتْ عامَها الثَّامِن عَشَر . . . .

ودخلَ ذاتَ يوم علىُّ بنُ أبى طالب على رسولِ الله وجلس إلى جِوَارِه بعد أن حيَّاه بِتَحِيَّة الإسلام . . .

وسأل النبى : ما حاجة ابن أبى طالب ؟ ؟

فأجاب علىٌّ — وهو يَغُضُّ طرفه : ذكرتُ فاطمةَ بنْتَ رسول الله .. قال الرسول : « مُبْتَسِماً » وقد عرفَ غرضَه . . مَرْحَباً ! وأهْلا !

وأقبلَ علىٌّ من الغَدِ ، وأقبلَ أبو الزَّهراء يسألُه عَمَّا عِنده ، ويُدْرِكُ من حَدِيثه أن لاَ شَىْءَ معَه سِوَى دِرْعِه الذى أصابَه فى غَنائم بَدْر ، ويتقدَّم عثمانُ بن عفَّان لِشِرَاء الدِّرْع بأربعمائةٍ وسَبْعين دِرْهماً ، ويُرسلُ « بِلالاً » ليشترىَ طيباً وعِطْراً ، ثم يدفع الباقى إلى « أمِّ سلمة » لِتقُوم هى كذلك بِشراءِ جِهاز العَرُوس .

وبهذه الصُّورة البَسِيطة تمَّت الخطبة ، ودُعِىَ الأصحاب ، فأشهدَهمُ الرسولُ أنه زوَّج ابنتَه فاطمةَ مِنْ علىِّ بن أبى طالب على أربعمائةِ مِثقال من

الفضة على كتابِ الله وسُنَّةِ رسُوله . وتمَّ عقدُ الزَّواج فى شهرِ رجب من السنة الأولى للهجرة . ولمَّا أهلَّ المحرَّم من السنة الثانية استأجَر الزَّوْجُ مَنْزِلاً خاصًّا ليستقبلَ فيـه عَرُوسه الزَّهراء ، واحتفلَ بنو عبد المطَّلب بهذا الزَّواج الكريم ، ونحرَ حمزةُ الجزورَ ، وأطْعَمَ أهلَ المدينة . ودَعا الرَّسولُ « أمَّ سلمة » لِتمْضِيَ بالعروس إلى بَيْتِ الزَّوجية .

ومَشى الرَّسولُ إلى مَنْزِل العَرُوسيْن بَعْد أن أدَّى صلاةَ العِشاء مَعَ أصحابِهِ ، ودَعا بِماء فقرأ عليه بعضَ آيِ الذِّكْر الحكيم ، ثم أمر العَرُوسين أنْ يَشْربا منه ، وتوضَّأ بالباقى على رأسيْهما ، وهمَّ بالانصراف وهوَ يدْعُو لهما :

« اللّهم باركْ فِيهما ، وبارِكْ عليْهما ، وبارِكْ لهما فى نَسْلِهما » !

وبكتْ فاطِمةُ ، ولكنَّ أباها تمَهَّل بُرْهةً ، وهمَس فى أذنِها قائلاً : أىْ بُنيَّتى ! لقدْ تَرَكْتُك وديعةً عند أقوى الناس إيماناً وأكثرِهم عِلماً ، وأفضَلِهم أخلاقاً ، وأعلاهم نفساً . . .

واستجاب الله دعاء نبيِّه ، فقد ولَدَتْ بِنْته فاطمة الحسَن والحُسَيْن ، وانْحَصَرتْ بذلك ذُرِّيةُ النَّبى فِيهما . . .

مَوقِف مُرَوِّع :

وشَكا النبىُّ مِن مَرَضِه الذى ألَمَّ به فى لَيَالٍ بَقِين مِنْ شَهْر صَفَر فى السنةِ العاشرةِ مِن الهِجرةِ ، ولَمْ تَكَد الزهراء تَسْمَعُ نَبأه حتى خَفَّتْ إلى لقاء أبيها ، وجَلَستْ إلى جِوارِه ، وأسَرَّ إليها أنَّهُ قَدْ

حَانَ أن يَلْحَقَ بربِّه ، فَبكتْ وَتألَّمتْ ، وأسَرَّ إليها ثانيةً ، بأنَّها أولُ أهْلِ بَيْتِه لحُوقا به ، فسرَّتْ وَضَحِكتْ ، وعَجِبَت السيدةُ عائشةُ من هذين المَوْقِفين ، ولكنَّ السر ظلَّ دَفِيناً فِي نفسِ الزهراء حتى باحتْ به بعدَ ذلك بِفَتْرةٍ طويلةٍ .

وعاود النبيَّ ألَمه ، وزارتْه ابنتُه ، وسَمِعَتْهُ يَقول : واكرباه ! ! فَخَنَقَتْها العبرةُ ورَدَّتْ : واكربى لِكَرْبِك يا أبتاه !

فردَّ عليها : لا كَرْبَ على أبيك بَعد اليوم .

ولَحِقَ محمدٌ بالرفيقِ الأعلى ، وبَكَتْهُ الزَّهراء ، وسَعَتْ إلى القبرِ تَشَمُّ تُرَابه ، وتقُول مُتَفَجِّعة :

ماذَا علَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أحمدٍ ألا يَشَمَّ مَدى الزمانِ غَوَالِيا ؟
صُبَّتْ علىَّ مَصائبٌ لو أنَّها صُبَّتْ عَلَى الأيّامِ عُدْنَ لَيَالِيا !

ولزمَت الزهراء بَيْتَها ، ولَمْ يَبْقَ لَها مِن الرَّجَاءِ إلا أنْ تَلْحَقَ بأبِيها كما بَشَّرَهَا بذلك .

« وفى يوم الاثنين الثانى مِن رَمَضَانَ سَنَةَ إحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الهجرةِ عَانَقَت بَنِيها[1] ، وَمَلأَت عَيْنَيْها مِنهم ، ثُمَّ دَعَتْ إليها أمَّ رَافِعٍ مولاةَ أبِيها قائلة » : يا أمَّه ، اسكُبِى لى غُسْلاً !

---

(١) ولدت الزهراء ولدها الحسن فى السنة الثالثة من الهجرة ، وولدت بعده الحسين فى السنة الرابعة ، كما ولدت بنتين سماهما الرسول زينب وأم كلثوم أحياء لاسم خالتيهما .

واغْتَسلت ، وارْتدَتْ ثِيابًا جُدُدًا ، ثم طَلَبَتْ أن يَكون فِراشها فِي وَسَطِ البيتِ ، واضْطَجَعَتْ مُسْتَقْبِلةَ القِبْلة ، وتَهيَّأَت لِلقاء رَبها ولقاء أبيها الحبيبِ ، صلى اللهُ عليهِ وسَلم[1] ورَضِى اللهُ تَعالى عَنْها .

ومِنْ رِثَائِها لأبيها قَوْلُها :

اغْبَرَّ آفاقُ السماءِ وَكُوِّرَتْ ... شَمْسُ النَّهارِ ، وأظْلَمَ العَصْران

فالأرضُ من بَعْدِ النبى كئيبةٌ ... أسَفًا عليهِ كثيرةُ الرجَفَان

فَلْيَبْكه شَرْقُ البلادِ وغربُها ... ولْتَبْكهِ مُضَرٌ وكُل يمَان

يا خاتَم الرسلِ المبارك ضَوْؤُه ... صَلَّى عليكَ مُنزِّلُ القُرْآن

المناقشة : قارن بَيْنَ :

(١) خُطْبة الزَّواج عِنْدَنا فى السودان ،

(٢) وخطبة هذه السيدةِ الجليلةِ وعقْدِ زَوَاجِها الذى تمَّ فى عَهْدِ الرسولِ .

---

(١) « بنات النبى » للدكتورة بنت الشاطىء ، « أعلام النساء » لعمر رضا .

٧ ـ قِصَّةُ مُهَاجِر

لم تستطعْ قُريش كلُّها أن تنالَ من رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِمكانَتِه عندَهم ولِحِمَايةِ عمه أبي طالبٍ ورجالِ بَنِي هَاشمٍ و بنى المُطَّلب لَه . ولـكِنَّ مُحمداً يَضِيقُ ذَرعاً بِما يُشَاهِدُه مِنْ ضُرُوبِ الأذى وصنُوفِ التَّقْتِيلِ والتَّعذِيب الَّتى تلحقُ أصْحَابَه مِنَ المُؤْمِنين . ويفكر ويُطِيلُ التَّفكير ، ثم يُشِيرُ عَلَى هَذِه الفِئَة المُؤْمِنة أن تفِرَّ بدينها إلى الله . . . ويسألهُ أصحابُه : إلى أينَ نُهاجِرُ ؟ فيُجِيبهم : « لو خَرجْتُم إلى أرضِ الحَبَشة ، فإنَّ بها ملـكا لا يُظْلَمُ عِنْدَه أحد ، وهى أرض صِدْق ، حَتَّى يجعلَ اللهُ لـكُم فرجاً مِمَّا أنتُم فِيه » .

وتَمَّ لأصحابه ما أرادُوا . وكَانتْ هذه أولَ هِجْرةٍ فى الإسْلام ، خَرج فِيها كثيرٌ من الرِّجالِ والنساء ، أمثال : عُثمان بنِ عفان ، وزوجه رُقَيَّةَ بِنْت رسولِ الله ، وعبدِ الرَّحمن بنِ عوف ، وجَعْفر بن أبى طالب . ومنهم أبو سلمة عبدُ الله بنُ عبدِ الأسد المَخْزُومى الَّذِى سَنَسُوق لك خَبر هِجْرته الثانية .

أبو سَلَمَة وزَوْجُه :

كان أبو سَلمة وزوجُه « أمُّ سلمة » ، قد هاجَرا إلى أرض الحَبَشة مَعَ أولِ فَرِيق نَزَح إليها ، وكانَ عددُهم أحَد عَشَر رجلاً وأربعَ

نِسْوة ، ولمَّا تَرامَى إليهم أنَّ المُسْلِمين فى مكَّة أصْبَحُوا بمأمنٍ مِن تَعْذِيب قُرَيشٍ لَهُم ، تاقَتْ نُفُوسُهم للعودة إلى أرضِ الوطَن الحَبِيبِ ، وعَاد الزَّوجان مَعَ مَنْ عَادَ إلى مَكَّة ، بَعْد أن أضْناهما الحَنِينُ شَوْقاً إلى لِقاءِ الرَّسول ، وبَرَّحت بِهما ذِكْريات أرضِ الآباء والأجدادِ ، واسْتَهوتْهما هَذه الأحاديثُ التى يتناقلُ النامُ خَبَرها على كُلِّ لِسانٍ . ولَكنْ . . . . خَابَ ظَنُّهما حِينَما دَخَلا مكة ، وعَادَ ذلك الأملُ المُشْرِقُ حَسْرةً ونَدماً ، حِينما عَلِمَا أنَّ القَوْم ما زالُوا سَادرين فِى غَوايتهم ، يُعذِّبون كُلَّ مَنْ دَخَل فِى هَذا الدِّين الَّذى يَدْعُو إليه مُحَمَّد . . . وفكَّر أبو سَلَمَة فِى العَوْدة إلى أرضِ الحَبَشة ، بَلَد النَّجاشى الَّذى أحْسَنَ إليْهم ، وأكرَم وفَادَتَهم . ولكنَّ تفكيره سُرْعَان ما يتغيَّر، لأنه سَمِع هَمْسًا : وأحسَّ نَغْمة جَدِيدةً أحْيَتْ فى نَفْسِه الأمل ، وجدَّدت العَزْم على الفِرار إلى أرضٍ هِىَ جُزْءٌ مِنَ مَوطِنه الأول ، صَار للرَّسول فيها رِجالٌ عَمِرتْ قُلوبُهم بالإيمان ، وَسَمتْ نُفُوسَهم عَن ضَلالَات الهَوى والشَّيطان . . . هِىَ يَثْرب . . . « المَدِينة » .

وأسْرعَ أبو سَلَمَة يَجْمع أطرَافَه ، ويَسْتَشِير رَسُولَه العَظِيمِ ، فَيُشِير عَلَيْه بالخروج إلى المَدِينة ، التى جَعَلَ اللهُ فيها المؤمنين إخواناً . ويُعِدُّ أبو سَلَمَة راحِلته وزاده ومَاءه . . . . ويَخْرُج مِن مَكَّة فِى غَبَش الظَّلام ، وَهُوَ يَقْتادُ بَعِيره وبين جَوانحِه شَوْقٌ إلى المدِينة ، وفِى رُفْقته زَوْجُه الحَبِيبة إلى نَفْسِه تَحْمِل طِفلها الصَّغير « سَلَمَة » . . .

امتحانٌ عَسِيرٌ :

ويشاء الله أن يُمْتَحنَ أبو سلمةَ فى إيمانه وصَبْره ، وأن يُبْتلَى بفِرَاق زَوْجه وطِفْله . . . حِينَا وثَبَ عليه رِجالٌ مِنْ قَومِ أمِّ سَلمة بَعْد أنْ أوشكَ أن يَنْقطِع عَنْه خَبرُ مكَّة ، ويَغيبَ عن عينيه مرآها الجَميل ، ويُوغل فِى هـذه الصَّحراء المترامية الأطرافِ . وتقدَّم الرِّجال نَحْوه يَطْلُبون إليْه أن يَدَع صَاحِبتَهم حرْصاً عليها أن تَبْقى فى دِيار أهلِها ، وخَوْفاً مِمَّا يُصِيبُها من عَناء السَّفر ومشقَّة الاغْتراب ، ويَنْهض رجالٌ مِنْ قَوم أبى سَلَمةَ يُطَالِبُون باحْتضان ابنهم « سَلَمَة » ، ذلك الطِّفل الصَّغير ، الذى أخذَ يَصرخُ ويبكى ، فيذيب الصَّخْر بِبُكائه ، ويفتِّت الأكْبادَ بصُراخه ، والفريقان يَتَناوبان التُّهم ويَتبادلان المُنَاقشات ، مِنْ غَيْر أن يَثُوبوا إلى رُشْدِهم فيرْحموا قَلْبَ الأم ! !

ووقَع ما قدَّره الله وقَضاه ، ولَا رَادَّ لِقَضائه !

فقد ضَرب الفِراقُ بَيْن أفراد هذه الأسرة بِسَهْمه ، ومَضَى أبو سَلمة لِشَأْنه ، ولم يَلِنْ قلبهُ ، ولم يَتصدَّعْ قوةُ عَزْمه ، وخَرَجَ وَحْده فارًّا بِدِينه ، لا يَلْوِى علَى شَىءٍ فإيمانُه بالله أحبُّ إليه من الزَّوج والولَد .

عودة ولقاء :

وكُتِبَ لهذه الأسرة المؤمنة أن يلتَقىَ أفرادُها ، بَعْدَ عامٍ كامِل قَضَتْه « أم سَلَمة » باكيةً منتحِبَة ، وقد جىء لها بابنها الذى لم يُطِقْ

أهلُه مِن أبيه استبقاءه بعيداً عن أمه ، وعادَتْ به « أم سلَمة » إلى المَدِينة بَعد أن ملَّ أهلُها بكاءها ، وضاقوا ذَرْعاً بحنينها المتَّصل إلى زَوْجِها الحبيب . وهنئت أيَّما هَنَاءة بلقاء زوْجها المُؤْمِن ، بَعْد هذه الفَتْرة الطويلة . . .